(٤) نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب

نبذة تاريخية عن نجد

أملاها

الأمير ضاري بن فهيد الرشيد

(.... - ١٣٣١ هـ)

وكتبها

الأستاذ وديع البستاني

(١٣٠٢ - ١٣٧٣هـ)

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

تهدف « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » الى جمع ما يمكن جمعه من تاريخ بلادنا ، ونشره للباحثين ، لكي يتسنى على أساس ذلك وضع تاريخ صحيح كامل لهذه البلاد .

وهذا هو الحافز لنشر هذه النبذة الطريفة : والله الموفق

رمضان سنة ١٣٨٦ (كانون الأول سنة ١٩٦٦ م)



مقدّمة

١ ـ الأمير ضاري ، مُملي هذه النبذة :

اسرته : الاسرة الرشيدية تتكون من ثلاثة فروع :

آل طلال بن عبد الله بن رشيد .

وآل مُتعِب بن عبد الله بن رشيد .

وآل عُبَيْد بن رشيد ، وعُبَيْد اخ لعبد الله .

وضاري هو ابن فهيد بن عبيد بن علي بن رشيد من آل عبيد .

وقد تولى الامارة من الفرع الأول :

١ ـ طلال وهو الأمير الثاني بعد عبدالله مؤسس الامارة، وقتل طلال الأول نفسه ، وقيل أن السبب في ذلك انه أصيب بمرض عقلي فجاءه متطبب عجمي وقال بأنه سيعالجه من المرض وسيشفى ولكنه سيفقد عقله ، وكان في حائل رجل مجنون فقال طلال للمتطبب : واكون مثل فلان ؟ يقصد المجنون . فقال : نعم ! فوضع المسدس فوق رأسه

وأطلقه على نفسه . كان ذلك في سنة ١٢٨٥ هـ .

٢ – وممن تولى الامارة من هـذا الفرع بندر بن طلال الأول ، تولى بعد قتـل عمه مُتِعب ابن عبد الله بن علي بن رشيد في سنة ١٢٨٥ هـ وقتله عمه الأمير محمد ابن عبد الله الرشيد ١٢٨٩ هـ .

٣ – محمد بن طلال بن نايف بن طلال الأول وعلى يده استسلمت حائل للامام عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وقد قتل محمد هذا بيد أحد مماليكه .

أما الفرع الثاني فرع آل متعب بن عبد الله بن رشيد فقد تولى الامارة منهم :

١ – متعب ابن عبد الله وهو أول قتيل من الاسرة قتله بندر ابن طلال ابن عبد الله وهو ابن أخيه سنة ١٢٨٥ هـ .

٢ – عبد العزيز بن متعب : وقد قتل في وقعة رَوْضة مُهَنّا ، في الحرب التي جرت بينه وبين الامام عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٢٤ هـ .

٣ – متعب الثاني ابن عبد العزيز ابن متعب ، وقتله خاله سلطان بن حمود بن عبيد بن رشيد في ١٣٢٦ هـ .

٤ – سعود بن عبد العزيز بن متعب ابن عبد الله وقتله عبد الله بن طلال بن نايف ابن طلال سنة ١٣٣٨ هـ وقد تولى الامارة صغير السن برعاية خاله زامل السَبْهان .

٥ – عبد الله بن متعب ابن عبد العزيز بن متعب ابن عبد

الله وانتزع الامارة منه محمد ابن طلال فهرب إلى الرياض سنة ١٣٣٩ هـ قبل فتح حائل ببضعة شهور ـحائل فتحت في شهر صفر ١٣٤٠ .

أما الفرع الثالث فقد تولى الامارة منهم :

١ – سلطان بن حمود بن عُبيد فقتله أخوه سعود سنة ١٣٢٦ ه وتولى مكانه .

٢ – سعود بن حمود بن عُبيد قتل من قبـل حاشية آل متعب من عبد الله .

ومن أشهر رجال آل عبيد :

١ – جدهم عبيد وهـــو شاعر شجاع ذو حمية وغيرة ومؤازرة للدعوة السلفية التي قام بها الامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله .

وقد اجتمع به الرحالة بلجريف عندما زار حائل سنة ١٨٦٢ م (أنظر صفحـــة ٣٠٠ من كتاب اكتشاف جزيرة العرب) .

٢ – ماجد ابن حمود بن عبيد وهو شجاع شاعر ذو رأي.

٣ – سالم بن حمود قتل في وقعة (الطـُّـرْفِيَّة) ١٣٢٥ ه.

٤ – مهنا بن حمود قتل في وقعة (الطرفية) أيضاً سنة ١٣٢٥ هـ .

٥ – ضاري ابن ُفهيد صاحب هذه النبذة من التاريخ .

طرف من أخبار ضاري :

كان ضاري من معارضي حكم عبد العزيز بن متعب بن رشيد الذي حكم من ١٣١٣ هـ إلى أن قتل سنه ١٣٢٤ وكان ضاري شاعراً باللهجة العامية ومن قوله :

يَا مِنْ لْقَلْبٍ دَابِلٍ كَبْدْ رَاعِيْهْ

دَلّى يْلَالِيْ مِثْلْ شَمْسَ الْمرَاتِ [1]

إِنْ كانْ باقي عُمرنا مثل ماضيه

فيا عَنْكْ ما تَسْوى رِيَالٍ حَيَاتِي [2]

فبلغت هذه القصيدة عبد العزيز بن متعب فقال :

لماذا لم يقل :

يا من لوجهٍ دَابِلٍ كَبْدْ راعيه

دَلَّى يْتِقَلَّبْ مِثْلْ لَوْنَ الشَّوَاةِ [3]

يعتبر ضاري من مجيدي شعراء الأسرة الرشيدية بعد عبد الله الأول ، وبعد عُبَيْد على أن عمه حموداً أكثر منه شعراً ،

---

(١) : دابل : متعب . دلى : صار . يـلالى : يتقلب بسرعة . المراة : المرآة .

(٢) : يا عنك : كلمة تقال للتنبيه . تسوى : تستحق .

(٣) : الشواة : اللحمة المشوية – وكانت العادة الشي على نار يختلط جمرها بالرماد ، فيكون لون (الشواة) أسود ، مشوباً ببياض أو حمرة دم .

ولكن ضاري أجود ، ومن شعر ضاري :

مَن عاشْ في الدنيا يشوف اعْبَايِرْ
بالْحَالْ يَقْذِفْ حِلْوُهَا مَعْ مَرَارَهْ [٤]

يا قَلْبْ يا ذِلّ الخصـــأ والخسَايِرْ
ما حيّ الَّا والدَّهرْ طَقْ صارَهْ [٥]

إعْرِفْ ، تَرى ما قدَّر اللّهْ صَايِرْ
ودِنْيَاكْ يَكْفِي عن طْوَالَهْ قْصَارَهْ [٦]

هِنِّيْتْ منْ قَلْبُهُ عَلَى الْكَيْفْ دَايِرْ
شَفْقٍ وطَرْبَانٍ لْجَمْعَ التّجْـــارَهْ [٧]

مَهُوبْ مِثْلَ الّلي بالافْكَارْ حَايِرْ
ليله (بْنَيَّانِ) ونهارِه (جْبارَه) [٨]

---

(٤) : العبايِر : العبر .
(٥) طق : ضرب ، ودق . صاره : طرفه .
(٦) : طوالة : طوالها . قصاره : قصارهـــا وحذف الألف من ضمير المؤنث لهجة عربية قديمة ، فقد جاء في الكلام القديم : (بالكرامة ذات اكرمكم الله بهْ) . شاهد نحوي .
(٧) : الكيف : كيفما أراد فعل . طربان : طرب .
(٨) : ماهوب : ما هو . اللي : الذي .

في حائل أسرتان : آل بنيان ، وآل جبارة ، ووقع بينهما تنافس ، أدى إلى أن حكّما بينهما رجلاً من أهل حائل فقال لهما : أنتما (......) ومِقحافُه . أي كل منكما خبيث ، فانتما متساويان في كل شيء .

عليّ طْلُوع الفَجْرْ يعْطِي الْبِشَايِرْ

لا شَكّ يَوْم اصْبَحْ بَكى من نَهَارهْ

بَالِكْ تْصاحِبْ من يبُوقَ اسَّرَايِرْ

يُودِعْ إذَا قَفَّيْتْ جِلْدِكْ (سْبَارَهْ)[٩]

(السّبارة : التمر الهندي المنقع بالماء للشرب أهل حائل يتخذون منه شراباً يسمونه بهذا الاسم) .

وله شعر كثير غير هذا ..

ولضاري هذا إلمام بمعرفة منازل القمر وحساب النجوم على الطريقة المعروفة في نجد .

وقد قام برحلة الى الحجاز في عهد الشريف حسين ثم عاد إلى الرياض .

وقد حضر جُلّ وقعات عبد العزيز بن متعب بن رشيد ومنها وقعة البُكرية سنة ١٣٢٢ هـ . ثم أصيب بمرض عضال

---

(٩) : بالك : كن حاضر البال واحذر . يبوق : يخون : يودع : يدع ويترك .

دعاه إلى أن سافر إلى البصرة ثم الى الهند حيث اجتمع به الاستاذ وديع البستاني كما أشار إلى ذلك في طرةهذا الكتاب.

والظاهر أن ضاري توفي في الهند سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣) تقريباً .

ويقول الاستاذ البستاني في مقدمة هذه الرسالة عنه أنه : (كان قد جلا عن نجد ، على أثر محاولته الأخيرة الاستيلاءعلى الحكم ، بقتل الحاكم في حينه ، من آل الرشيد) . وهو يشير إلى حادثة قتل متعب الثاني سنة ١٣٢٤ ، حينما قام سلطان بن حمود بن عُبيد آل رشيد بقتله ، وسلطان هـذا هو ابن عم ضاري ، ويقال بأن ضاري نفسه كان مشاركا في القتل ، وقد قتل سلطان هذا ، قتله أخوه سعود في سنـة ١٣٢٦ ، ثم قتل سعود هذا في السنة نفسها .

ان التطاحن الذي قام بين أفراد هذه الأسرة ، فنشأ عنه من المآسي ما تقشعر له القلوب ، بحيث أن الأخ يقتل أخاه، والخال يقتل ابن اخته والعم يقتل ابن أخيه ، أوجـدت في نفس كل فرد من أفراد هذه الأسرة عدم الطمأنينة ، وملأت قلبه من الخوف ، وبعد قتل سعود بن حمود سنة ١٣٢٦ آخر من تولى الامارة من هذا الفرع ، أصبح آل عبيد غير آمنين من انتقام أبناء عمهم ، وهذا من أسباب هرب ضاري من حائل ، متنقلاً بين مكة والرياض والعراق ، بعد أن قتل آل سبهان – باسم سعود بن عبد العزيز – آخر أبناء عمه وهو سعود بن حمود . ويقول الاستاذ فهد المارك : (ان ضارياً لو لم يهرب ، لقتله آل سبهان) .

٢ ــ هذا الكتاب :

تحدث ضاري عن وقائع أدركها ، ومنها ما حضره ، كوقعة (البكيرية) وذكر طرفاً من أخبار آل رشيد ، وأورد بعض أشعارهم كل ذلك بلغة عامية ، ولكنها قريبة جداً من الفصحى ، وهو ــ على ما يظهر من كلامه ــ له حظ من التعلم ، فهو يحفظ أشعاراً فصيحة ، يستشهد بها ، ويعرف طرفاً مما ورد في بعض المؤلفات الجغرافية عن بعض الأمكنة .

ولهذا فأن ميزة كتابه أنه كتب باسلوب ليس بالفصيح ، ولا بالعامي البحت ، فهو من هذه الناحية قد يفيد المعنيين بدراسة تطور اللهجة العامية في نجد ، ثم هو يحوي مقطوعات وقصائد باللغة العامية ، تفيد من هذه الناحية .

أما الاعتماد على الكتاب من الناحية التاريخية فإن ممليه كان متأثراً بتعصبه لأسرته تأثرا حمله على إخفاء بعض مساوئهم ، ــ كما ذكر عن أبناء عمه وانهم ماتوا ولم يذكر انهم قتلوا ــ .

ثم هو عندما تحدث عن ولاية عبد الله بن رشيد ، حاول أن يجعل من أسبابها أن أهل البلدة اختاروه اختياراً ، ولم يعيّن أميراً ، وهذا مما نبه عليه وعلى ما قبله الأخ الاستاذ فهد المارك ، الذي ندين له بالفضل بجل ما أوردناه من معلومات عن (ضاري) .

وبتنبيهات على أخطائه ، وضعناها في (الهوامش)

ومع كل ما تقدم فأسلوب الكتاب القصصي مما يجعل له

ميزة تحببه إلى القارىء . ولا يصح اغفال ناحية على جانب كبير من الأهمية ، هي أن (ضارياً) - وقد أملى رسالته هذه في عهد كان لا يزال لأسرته (الرشيدية) بعض النفوذ ، وكان الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل - رحمه الله - لم يستول على حكم جميع البلاد - إلا أن (ضاريا) كان منصفاً ، فقد أثنى على الملك عبد العزيز ، ووصفه قائلاً : (انه رجل شجاع صاحب سياسة... جواد ، محبوب ذو رأفة في عشيرته وممالكه) . وقال عن الامام فيصل بن تركي :(وكان صاحب ديانة وورع ، ونية صالحة ، لأنه ظهر لأهل نجد بركات نيته سنين ولايته ، وإلى الآن هم في أسباب بركاته) .

إننا بحاجة إلى أن نكتب تاريخ بلادنا كتابة صحيحة ، وهذا يدفعنا إلى أن نحرص على جمع كل ما كُتب عنها ، مهما بلغت قيمته من قوة أو ضعف ، ومهما كان مصدره . ليتسنى - فيما بعد - كتابة ذلك التاريخ على أسس قوية من الدراسة والاطلاع التام . والله الموفق للصواب .

أصل الكتاب :

أملى ضاري هذا الكتاب على الاستاذ وديع البستاني في سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٣) - كما يتضح من المقـــدمة التي وضعهـــا الاستاذ البستاني - فكتبه البستاني في دفتر سماه : (الكشكول) .

ثم نسخ منه نسخة ، وصلت الينا ، فاتخذناها أصلاً (انظر صورة طرتها) وهي النسخة الوحيدة للكتاب ، فيما نعـلم .

ولم نشأ أن نتصرف في الأصل ، فأبقينا كل شيء فيه على ما هو عليه ، ومـــا فيه من حواشي أثبتناها وأضفنا بعض حواش ، ميزنا بينها وبين الحواشي التي في الأصل ، بأن أضفنا إلى حواشي الأصل حرف (ص) .

كما رأينا ضرورة وضع عناوين للمباحث ، تسهيلاً للقارىء وتقريباً له ، وتقع النسخة التي طبعنا عنها ، والتي هي بخط الاستاذ البستاني في ٣٩ صفحة ، طول الصفحة ٣٠ (سم) وعرضها ٢١ (سم) ، في الصفحة ٣٢ سطراً ، مكتوبة بخط النسخ الواضح ، وبعض الكلمات مشكّلة .

ولا تخلو من بعض أغلاط ، ناشئة عن كون الكاتب لا يتبين طريقة نطق اللفظة العامية ، فيكتبها على غير وجهها الصحيح ، مثل كلمة : (اللّـي : الذي) فالعامي ينطقهـــا مكسورة اللام كسرة غير مشبعة ، فيظنه السامع سكنها .

وكلمة (قلة) فالقاف يخرجها العامي النجدي من مخرج قريب من مخرج الكاف فيظنها السامع كافاً . وهكذا .

ونكرر القول بأننا بحاجة إلى أن نجمع ما أمكننا جمعه مما يتعلق بتاريخ بلادنا أو بأي جانب من جوانب ثقافتها ، حتى تكون لدينا ذخيرة للدراسة ، يمكن الرجوع اليها ، والاعتماد عليها ، بعد تصفيتها ونخلها ، لاختيار الصالح منها .



نبذة تاريخية

عن

نجد

عن لسان الأمير ضاري ابن الرشيد ✡

وبلفظه وعبارته

أملاها عليّ بطلبي وهو

يستشفي وقد أجريت له عملية جراحية

ونحن في ضيافة

الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم

في مدينة بومباي

سنة

١٩١٣

(عنوان الكتاب ، كما وضعه الاستاذ وديع البستاني — وهو بخطه — في طرة الكتاب في الصفحة الاولى

ممليّ هذه النبذة أحد أبناء الرشيد الذين عاشوا يتمتعون برضى البيت السعودي

وكان قد حُملا من نجد على أثر محاولته الأخيرة للاستيلاء على الحكم بقتل الحاكم في حينه من

آل الرشيد، فانتهى به التطواف الى البصرة حيث ظهر فيه مرض فتعال تحت حكم

البصرة الانكليزي الاشهر [illegible] في الماسرة واشار بفتح البطن لاستئصاله على

يد جرّاح انكليزي شهير في [illegible] فقدمنا لهذا الغرض [illegible]

الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم التميمي النجدي، ملك اللؤلؤ في زمنه، وكنت عند الشيخ

الذي كان من حسن رفده واكرامه للشيخ ضاربي أنه استأجر له قصرا مميزا يقيم

فيه بحاشيته، وكان ذا أريحية، ولي تخصيص له من خدمه طريقة الهدية اللازمة لمعالجته والعناية.

وكنت جليسه الملازم له طوال المدة وأثناءها املى على هذه الصفحات، وكنت

أدوّن بالفاظه العامية، ثم نقلت الى العربية محافظا على الفكرة والطريقة، وهذه الصفحات نسخة

خط يديه في أيام أسره، أسرار من الصفحات [illegible] الشيخ او المتحفظين من دفتر

(المقدمة التي كتبها الاستاذ البستاني – بخطه ايضاً – على الصفحة الاولى من نسخته)



٣ ـــ الاستاذ وديع البستاني :

[وهذه ترجمة موجزة عن حياة الاستاذ وديع البستاني ، الذي نقل هذه النبذة بقلمه ، من املاء ضاري] .

هو وديع بن فارس بن عيد البستاني ، ولد سنة ١٣٠٣ ﻫ (١٨٨٦ م) في قرية « الدبيـــة » من ضواحي الشوف في لبنان ، وتعلم في الجامعة الأميركية في بيروت واشتغل مدرساً فيها ، يدرس اللغة العربية ، واللغة الفرنسية ، مدة سنتين ، ثم عين مترجماً في احدى القنصليات الانجليزية سنة (١٩٠٩ م) وسافر إلى مصر فعمل في وزارة الأشغـال ، وزار بلاد الانـكليز ، وسافر الى فلسطين سنة (١٩١٧) م في وظيفة ادارية لدى السلطة المحتلة البريطانية في ذلك الحين ، فاقام في يافا ثم في حيفا واستقال سنة (١٩٢٠) منصرفاً الى العمل مع اخوانه عرب فلسطين ، في محاولاتهم دفع الخطر الصهيوني عن بلادهم ، ثم تعلم الحقوق في القدس واحترف المحـــاماة سنة (١٩٣٠) واستقر في حيفا الى سنة ١٩٥٣ وعاد الى بيروت فتوفي في القرية التي ولد فيها سنة ١٣٧٣ ﻫ ١٩٥٤ م

وقد وصفه مؤلف كتاب مصادر الدراسة الادبية قائلا [١] (أحد كبار ادباء العصر من اللبنانيين ، شاعر فحل ، وكاتب اديب وعالم باللغات ، خطيب يبتده القول وذو لسن يسحر

---

(١) مصادر الدراسة (٢ / ١٩٦ الى ١٩٩)

ببيانه ، ورواية لا ينضب له معين ، من أكثر اللبنانيين انتاجاً محام من اقدر المحامين وأحد كبار الثقافة في العصر الحديث ، وكان من رجال الصفوة المختارة ، علما وادبا وخلقاً ووطنية.

ولعل خير ما يتميز به من خدمة جلية للغة العربية وادابها هو ترجمته للملاحم الهندية مثل (الراميانة) و(المهابَرَاته) فعرف العرب بروائع الأدب الهندي القديم ، كما عرفهم سليمان البستاني من قبل ذلك بروائع الادب اليوناني القديم بنقله الياذة هوميروس الى العربية .

وللاستاذ وديع جهاد وطني مديد في خدمة القضية الفلسطينية والدفاع عنها من مطامع الصهيونية فكتب وخطب وناضل بقلمه ولسانه ورحل الى الغرب في هذا السبيل وقد تعرض للموت في هذا الامر اذ آثر البقاء في داره بعد احتلال اليهود لمدينة حيفا ، على ان يغادرها وبقي عرضة للضغط والارهاق سنوات قبل ان يسمح له بالعودة الى بيروت) انتهى

وكان يكثر من الحض على وحدة المسلمين والنصارى من العرب ونظم قصائد في بعض حفلات المولد النبوي ، يقول في احداها :

لئن عدد الأديان ناسٌ وفرّقوا

فما كنت في الأوطان الا موحداً

ويقول في أخرى :

نحن النصارى الأقربون مودة

لكم ، وقد صدق النبي محمد [1]

ويقول أيضاً :

ايها الناطقون بالضاد صحُّوا

أَيّكُمْ نائم وغير مفـــاق ؟

صيحةُ الحقِّ قد علتْ فاسمعوها

وصداهـا يَرِنُّ في الأَبْـواق

لا نصارى، ولا دروز ، ولـكنْ

أَرْضُ سُوْرِيَّةَ وارض العراق

كلنا (مُسْلمون) في مَذْهَبِ الغَرْ

بِ ، عُدَاةٌ مَنْقُوضَة الميثاقِ [2]

(١) هو يجهل الدين الاسلامي ، وآية « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا: انا نصاري » من كلام الله سبحانه ، لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) مجلة الزهراء (ج ١ ص ١٨٣ تاريخ ١٣٤٤ هـ) .

وله ديوان شعر دعاه (الفلسطينيات) طبع في بيروت سنة ١٩٤٦ (٣١٤ صفحة) .

ومن مؤلفاته المطبوعة : —

« ترجمة رباعيات الخيام » وهو أول من ترجمها إلى العربية نقلها عن الانجليزية — نظماً — .

« معنى الحياة » .

« السعادة والسلام » .

« مسرات الحياة » .

« محاسن الطبيعة » .

هذه الكتب الأربعة من مؤلفـــات اللورد « افبري AveBury » ونقلها المترجم إلى العربية .

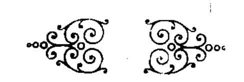
- « البستان » .
- « مختارات من شعر طاغور « شاعر الهند »، ترجمها عـن الانـكليزية .
- «الانتداب الفلسطيني» باطل ومحال،بالعربية والانـكليزية.
- « المهبراته »وقد جاء ذكرها وهي مترجمة عن الانـكليزية وهي ملحمة هندية . ويقول داغر انها من أشهر مؤلفاته على الاطلاق .
- « رباعيات الحرب » من شعره .
- « خمسون عاماً في فلسطين » ترجمة .

- وشارك في الكتابة في « دائرة المعارف للبستاني » .

ومن مؤلفاته المخطوطة :

- « عمر الخيام » وهو غير الرباعيات .
- « مجاني الشعر » .
- « الأساطير الهندية » ترجمة .
- « الكشكول » وفيه النبذة عن نجد – التي نكتب هذا مقدمة لها –

[ملخصاً من الاعلام للاستاذ الزركلي ،ومصادر الدراسة الأدبية للاستاذ داغر] .



مقدّمة

ُمليء هذه النبذة أحد أبناء الرشيد ، الذين عــاشوا يتمتعون برضا البيت السعودي ، وكان قد جلا عن نجد على أثر محاولته الأخيره للاستيلاء على الحكم بقتل الحاكم في حينه من آل الرشيد ، فانتهى به الطواف إلى البصرة حيث ظهر فيه مرض عضال شخصه حكيم البصرة الانجليزي الأشهر بكيس يعبيء مادة في الخاصرة ، وأشار بفتح البطن لاستئصاله على يد جراح انكليزي شهير في بمباي ، فقـدمها لهذا الغرض ونزل على عين أكارمها الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم التميمي النجدي ، ملك اللؤلؤ في زمنه ، وكنت عند الشيخ الذي كان من حسن رفده واكرامه للشيخ ضاري ، أنه استأجر لـه قصراً صغيراً يقيم فيه بحاشيته ، وكانوا أربعة ، ومن خصص له من خدم ، طيلة المدة اللازمة لمعالجته وابلاله ، وكنت جليسه الملازم له طول تلك المدة ، وفي أثنائها – بطلب مني – أملأ عليّ هذه الصفحات ؛ فكنت ادوّن عبارته بلفظه ، مثالاً لعربية نجدي على الفطرة والسليقة .

وهذه الصفحات نسخة بخط يدي في أيام أسري بإسرائيل عن الصفحات الخمسين أو الستين من دفتر أسميته الكشكول ما زال محفوظاً .

وديع البستاني

نجـــد

يحدها من الجنوب [1] الحجاز ، والشمال العراق ، والشرق الحسا والبحر ، والغرب [2] جبال الشام .

منذ قرن تقريباً كانت نجد كلها بيد آل سعود — وهم من عَنـَزة — ولم تزل في أيديهـم إلى أن ظهر إبراهيم باشا عليهم من مصر .

ومما كان في حوزتهم عدا نجد عُمَان ، القطر [3] ، وأبو شهر ،(والكويت ، والزبير وكانوا يأخذون من كلٍّ خراجاً قدره ستة آلاف ريال سنوياً) .

---

(١) الصواب : (من الغرب) .
(٢) الصواب : (الشمال) .
(٣) كذا والصواب : (قطر) اذ « أل » لا تدخل على الأعـلام الا سماعاً .

ابراهيم باشا يغزو نجداً

وبعد ظهور إبراهيم باشا قتل زعيمهم وضعف أمرهم، وبعد ذلك بمدة عشرين سنة رجع لهم غالب ملكهم على يد فيصل بن تركي آل سعود، الذي كانت الحكومة المصرية انتزعته إلى مصر .

وكان الداعي إلى غزوة إبراهيم باشا أمر الحكومة العثمانية، وذلك بعد ما مشى طلسم باشا [١] ، وتواقع هو وسعود بن عبد العزيز زعيم آل سعود ، على ما يقال له « الماوية » وسبب خروج العسكر عليهم رَدَّتهم للحج ، وفيهم على مـا يقال والدة السلطان ، وقد كانت الماوية مسافة أربعة عشر يوماً عن عاصمة ابن سعود مما يلي الحجاز. وكان بينهم وقعة انقضت عن هزيمة العسكر .

ثم في مدة سنتين تقريباً توفى سعود وتولى الأمر ابنه عبد الله ، وكان رجلاً شجاع ، قليل السياسة ، فعندئذ ظهر ابراهيم من جهة الحجاز ، وفيما يزعمون أنه اشترط على الدولة أنه ما يشرب إلا من ماء النيل في حال غزوته ، وقام كلما مَرّ على رئيس بادية سلمه مئة ألف ريال ، على أنه يمنع قوافله عن قومه بواسطة خفير للأمداد ألّ تجيه [٢] من مصر .

---

(١) الصواب : أحمد طوسون .

(٢) ألّ : التي .

نزل القصيم ، وصالحوه من غير محاربة ، ونزل قرية تسمى (الرس) — وهي إلى الآن — وأعلنوا عليها الحرب ديناً ولا حصل منهم طائل ، وصالحهم على الذي هُم يبغون بعد حرب طويل ومشى .

دخل الوشم وعاصمته يقال لها (شقرا) فصالحوه وهو قد همَّ بتخريبها للتشفي مما فعلوه فيه أهل (الرس) فلما طلبوا منه الصلح كره أن يأبى . ومشى ونزل أدنى قرى المحمل قرية تسمى "ظرُمَه" وليس له فيهم فكرة ، لأنها قرية مستحقرة ، لأنهم أهل زراعة ، ، من شؤم حظهم اعترضوه ، جعلوا يعيرونه بقولهم « ... حصانه [1] » فغضب ونزل وأمر الطوبجية — وفيما يزعمون الذي معه ثمانين طوب — وأنه أمر على المدافعية أن يلتزم كل واحد منهم برمي مئتين كلة [2] ولو عدمت البلاد لا يكفون ، وعندئذٍ نام أو تناوم ، وفي فصل نصف ساعة تلفت القرية ، وهي في سفح الجبل المسمى عند العرب (اليمامة) وعند أهلها طوَيق والعارض ، وجعلوا اسم اليمامة مختصاً في بلد من البلدان المجاورة . فعند ذلك هربوا إلى الجبل المذكور ، وهلك منهم خلق كثير وسلم ناس . بعد ما خرَّب ضرمة : « أردنا شقرا وأراد الله ضرمه » .

---

(١) حذفنا كلمة غير مناسبة .

(٢) كلة : يقصد ما يسمى الآن (قنبلة) أو (قلة) ونطق القاف عند أهل نجد يقرب من نطق الكاف ولا يكاد يميز بينهما عند السماع ،

ودخل العسكر القرية وفيها متخلفين ممن حبسهم العذر ، ورخص للعسكر في فعل المنكرات بالنساء ، واستقام فيها ثلاثة أيام وارتحل بعد ما خرب ضرمه .

ومشى إلى (الدرعية) وهي عاصمة آل سعود في ذلك الزمان – وهي على ضفتي الوادي المسمى بوادي بني حنيفة وامتنعت البلاد حتى يئس ، فعند ذلك أحد النواطير الذي في بعض البروج دس عليه إبراهيم دسيسة ، إني أعطيك مئة ألف ريال إذا أمكنتني من البرج الذي أنت فيه ، ففعل الناطور ، ومشى إبراهيم باشا بالأطواب ولزم البرج .

وكان البرج متسلطاً على البلاد لأنه أعلى منها ، فعندئذ خربت البلاد من المدافع ، وإذ ذاك فيها جمع من الناس غفير ، فتهيب إبراهيم التجشم ، لأن الموقع حرج ليس في فضاء من الأرض، فبسط لهم الأمان على أن الزعيم يأتي على نظر الباشا.

وكان الزعيم فيه ورع ففدى بنفسه دون عائلة المسلمين فقبض عليه وحبسه ثم قُتل ، واختلفوا في قتله ، منهم من قال غيل، أي خنق ، ومنهم من قال ألقوه في قدر والقدر محمى،(وطعم المنايا واحد) ، وأبقى عسكر ينيف عن ألفين، ورأسَ عليه إبناً لسعود [1] من جارية ، وانصرف .

وجعل كلما مرّ على رئيس من رؤساء البادية استرجع منه

---

(١) يقصد خالد بن سعود ، كما سيأتي ، وخالد انما جعل رئيساً بعد غزوة خرشيد باشا) بين سنتي (٥٤ / ١٢٥٧) .

المال والذي ما يجد عنده المال بعينه يأخذ من مواشيه إبل وغنم ، إلى ابن مُضيّان من رؤساء حرب (القبيلة) . فانه قد لاحظ ولم يتلقاه، بل جعل بينه وبينه مسافة قليلة المياه . فلما أيس منه (وهو إذا أتاهم يوهمهم أنه يريد يقيد لهم الجائزة حتى استوفى منهم) قال: ان مَثَل ابن مضيان كمثل الجربوع « يعني أنه متعدد المسالك »

الامام تركي بن عبد الله

وبعد ما رجع إلى مصر ظهر تركي بن عبد الله ، من أبناء الأمير الأصلي ، وجعل يغير على أطراف العسكر الذي في الرياض ، والرياض قرية ليست كحالها الآن، ويخيف العسكر، ويقتل من ظفر به منهم خفية ، ويمنعهم الأرزاق ، لأن نجد كمثل الصين (إن كثر فيها الجند جاعوا وإن قلوا ضاعوا) .

راجعوا إبراهيم، وإذا ابراهيم مشتغل في حُروبيّاته، وبعد ما أيسوا من النجدة من ابراهيم ، وكان تركي قد اجتمع عليه من أهل نجد جماعات، منهم من سار معه ، ومنهم من عاهده، فلما توثق في قوته خاطب العسكر ، على أني قادر على تلافكم لأن أهل نجد معي عليكم ، إن أردتم المسألة نُزَمّلكم ونحفظكم إلى أن تصلوا إلى المدينة ، فإن أبيتم فلا عندنا لكم إلا القتل ، وأنا رجل إن أتاني العسكر هربت إلى الجبل الذي يتعذر عليكم فيه المسير ، أكمن فيه النهار وأغير الليل .

أما من جهة خالد ابن سعود المذكور ابن الجارية الذي أمره ابراهيم باشا أتاه من خوّفه من ابن عمه وهرب ليلاً . طب الحساء وتزوج فيه ومات ولم يعقب .

أما العسكر لما رأوا الواقع طلبوا الأمان وانهم يخرجون على ما قال لهم ، وصار تركي رئيس نجد ، ولم تجتمع له رئاسة نجد كاجتماعها قبل ..

الامام فيصل بن تركي

فلما توفي قام بالأمر بعده فيصل ، فرجعت طاعة نجد اليه كما كانت قبلاً وجبى السواحل المذكورة واستقام ثلاث سنين .

بعد ذلك فرغ إبراهيم باشا وأظهر عسكر إلى نجد ، والعسكر يظهر انه لا يريد محاربة أهل نجد ، إنما يريد فيصل وعائلته .

وكان عندئذ مبتدأ أمر آل الرشيد في جبل طي المسمى (أجا) ورئيس العسكر ، خورشيد باشا ، وطلب أحد آل الرشيد وهم عبد الله وعبيد الاخوين ، ومشى معه عبيد من غير قوة وأكرمه وأعطاه دراهم وأسلحة ، ورجع ومشى إلى الرياض – وقد كانت هي العاصمة – وهي للآن ، تكون عن الدرعية مسافة أربع ساعات للشرق .

فارتحل فيصل إلى (الخَرْج) ، وهو جملة بلدان عن

الرياض شرق ، قدر أربعة عشر ساعة ، وهو بلاد كثيرة العيون ، حتى ان فيه عين تسقي مسافة يوم ، على أن قيعانه من أحسن ما يكون للزراعة .

واستقام خورشيد سبعة أشهر محاصراً الدّلّم عاصمة الخرج وفيصل فيها ، وبعدما طال الحصار على الجميع طلب من فيصل على أن لك ذمة الله وذمة رسوله، قصدنا نواجه الباشا ويكون الامر تتقلده من تحته ، وأنت ترى أننا ما فعلنا بأهل نجد أفعال تضر ، إنما قصدنا هذا .

وكان فيصل صاحب ديانة وورع ونية صالحة ، لأنه ظهرت على أهل نجد بركات نيته سنين ولايته ، وإلى الآن هم في أسباب بركاته ، فقبل ، وشاله [١] خورشيد هو وأولاده عبدالله ومحمد ، وشال الشيخ القاضي عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف ، وهم من أولاد محمد بن عبد الوهاب (المذكور جده محمد) وشالوهم [١] إلى مصر .

واستقام فيصل في مصر إلى أن جاءه أعرابيان فشالوه ليلا وهربوا به إلى نجد ، وقد كان المتولي على نجد رجل من العائلة (السعود) يقال له عبد الله بن ثنيان الذي للآن أبناؤه في اسطنبول ، وكان رجلاً شجاعاً ، سفاكاً للدماء ، قتل جماعة من المتدينين (المطاوعة) ويقول : إن أبقاني الله لم أترك مع البدو ولا فرس واحدة . من أجل ذلك أبغضوه الناس مع أنهم يؤثرون محبة فيصل .

---

(١) شال : حمل ـ شالوهم : حملوهم .

وفاة تركي

قتله ابن عمه مشاري، وإذ ذاك فيصل في الغزو الى عمان [1] فبلغه الخبر فانصرف ، وإذا مشاري مستولٍ على الرياض ، فورد القصيم وأتاه عبد الله بن الرشيد فساروا إلى مشاري .

حصر مشاري وقتله

بعد ما شاف مشاري أن أهل نجد مع فيصل أسقط في يده وانحصر في القصر المسمى (قصر دهام بن دواس)، الذي كانوا أجلوه عنه آل سعود عند ظهورهم في الدين ، وكان في جملة الذي في القصر رجل يسمى سُويّد راعي جلاجل (وجلاجل) اسم بلاد من (سُدَيْر) وهو أتى قادم على مشاري ، ويوم صار الحصار أكرهه مشاري على البقية عنده، فلما طال الحصار على مشاري وكان ذات ليلة أن أخبر عبدالله ابن رشيد عن مكان سويد أنه في المقصورة الجنوبية من مقاصير القصر فاستأذن عند ذلك عبدالله بن الرشيد من فيصل: أني أريد أجاوب سويد لأن بيني وبينه صحبة قديمة قبل أن يتروس في بلاده وقبل أتروس في بلادي لعل يكون منها فرج ، قال

---

(١) في الهامش : (الدمام) . وهو الصواب ، كما في كتاب (عنوان المجد) وكتاب (تاريخ آل سعود)

فيصل : أنت رجل عندي ثقة افعل ما ترى .

فلما جَنّ الليل مشى عبد الله إلى المقصورة فتكلم لسويد في كلام يعرفه ، فقال سُويد : ارجع ، وإذا جاء وقت المغرب الليلة الآتية ترسل خادم من الذي لا يؤبه له ويلقي ورقة تحت المقصورة فيها الخبر ..

فرجع عبد الله وسَوّى الذي هو قال ، فلما فض المكتوب وإذا فيه من سُويد إلى عبد الله : بعد أنا رجل مغلوب على أمري والآن أيْش عندكم لي؟ لأنني أنا أعرف الذي أنتّا أنسويه ، والجواب يجيء به الخادم فيضعه في الحبل الذي يلقاه مُتَدَلّي.

فعند ذلك عرض عبد الله الخط على فيصل ، فقال : ما تظنه يريد ؟ قال عبد الله : يريد رياسة بلاده تكون له ولولده من بعده وأن يكون له يد عندك ، وقال : إضمن له ذلك وزيادة ، لأننا نَشُوفْ وَيْش الذي يبغي يسوّي .

فعند ذلك كتب عبد الله مكتوباً رد الجواب حالاً رجع سويد خَبّر على أنك تأتي أنت يا عبد الله بن الرشيد معك ثلاثين رجل ، ونُدَلِيّ عليكم حَبْل وتصعدون علينا ، فإذا صعدتم أنا وعشرة أمثالي من الذين جاؤوا إلى الزيارة وأدركهم الحصار إما عاوناكم فلا ننالكم بسوء ، وهو ما عنده إلا عشرين رجل — يعني مشاري — فقط لا تخفي عليكم شجاعته في نفسه وأنت لا تأتي إلا في الرجال الذين ينفعونك ، وميعادكم الساعة خمس عربي من الليل .

فلما أخبر عبد الله فيصل بهذا الخبر ُسر ّ ، ولكن أبى على عبد الله أن يكون مـع الذين يتسورون الحائط وقال : أنت رجل عزيز عليّ وهذه َخطـَريّة ولا يسمح بالي انك تجي خطرية ، والمسألة تبغي تهون على الطول ، لأن المحصور أضيق صدر من الحاصر ، والطالب أسبق من المطلوب .

فعند ذلك تبسم عبد الله وقال : إني أرى أن ُسويد ما يدع أحد يصعدإلا أنا الأو ّلي ،لأني كنت أعرف من طبعه هكذا ، وأنا باذل نفسي بالذي فيه لك مصلحة وراحة للمسلمين ، وإن شاء الله إنها تأتي بالتياسير .

فعند ذلك قال فيصل :عسى أن يجعل فيك البركة ويهديك لما كان فيه الخير .

فلما جاء المساء انتخب عبد الله ثلاثين رجل من خواص فيصل من الخدام وأتوا للموعد ، وإذا ُسويد معد لهم حبال ، لأن القصر فيه أرشية للمسي (وهو البير) .

فعند ذلك قال ُسويد : أفيكم عبد الله ؟ لأن القصر عالٍ ، المقصورة في ثلاث طبقات وفي ظلمة ، فعند ذلـــك تكلم له عبد الله فعرف صوته فقال : لا يصعد قبلك أحد .

فعند ذلك أبوا الخدام أن عبد الله يصــير هو الأول لما استمعوا من توصية فيصل عليه ، فكاد يصير بينهم اختلاف إلى أن مضى مقدار ثـُلـْثـَين ساعة ، فعند ذلك غلبهم عبد الله وصعد ، وصعد معه في الحبل خادم لفيصل .

فلما استقروا عند سُوَيّد أخبر سويد أن مشاري والذي عنده راقدين . فقط اثنين منهم في حدود القصر من يمين ومن يسار ، ممن يوالي مقصورة مشاري ، متيقظين لأجل الحراسة ، وأما الجهة هذي الذي نحن فيها فليس فيها أحد يجب فيه محاذرة .

فلما ان مضى من الليل ثمان ساعات وإذا هم تكاملوا في السطح، وإذا أصحاب مشاري قد تيقظوا من الحركة وضوضاء الزلم (الرجال) فصار الرمي بينهم .

فتكلم مشاري لعبد الله بن الرشيد وقـــال : انت ما يدخلك في مسألتنا ، ونحن من عَنَـزَة وانت من قحطان . قال : إني لم أدخل فيها إلا باجمـاع طاعة المسلمين للخروج عليك ولانك خائن وقاتل إمامهم وهو في المسجد ، وأنا ما جئت لهذا المكان إلا في أوامر فيصل ، وانت إن أردت تنزل على حكمه وفي ما يرى فيك ، فأنا أنصحك وأكون معك ، فإن أبيت فسيفك في يدك ونحن إليك من الواصلين .

فعندما أسفر الصباح قبل نور الشمس تجاولوا في القصر ، وانصاب مشاري برصاصة من أحد الخدام . وكان عنده عبد شجاع وأصحابه الباقين تفرّقوا ولا كان فيهم مدافع فقط العبد أبدى بسالة ووقف في نحور عبد الله وأصحابه ، وكان مجالهم في قبة مظلمة مستطيلة غير واسعة ، يكر عليهم العبد حتى يخرجهم إلى الفضاء ، ويكرون عليه حتى يصل الى

حد الحجرة الذي فيها مشاري ، ومشاري قد اثخنه الجرح عن القتال .

فلما علا النهار وهم على هـــذه المسألة في ذا المجال قال عبد الله : ما يكون اننا نستحسن ان الناس يقولون : منعهم رجل واحد ، [1] وهم ثلاثون ، منتخبون هذا عار علينا ، قالوا : انما هو رجل ميت ، وكلنا يكره الموت ، ولو كان صف لحملنا عليهم ، ولو أن المجال واسع لأحطنا به ولكن كما ترى .

فعند ذلك قال عبد الله : أنا أريد أن أسوي حيلة،ولكن انتم تبادرون اذا سمعتم صوتي ولا تمهلوني ، قالوا : ما تريد ان تفعل ؟ قال : أريد أن أختفي في أحد هذه الاسطوانات ، فاذا طردتموه ووصل إلى المكان الذي يكر عليكم منه وانصرفتم وتعدى عني ركضت عليه من ورائه ومسكته لأنه [2] .. فيكم ، ولكني اخاف ان يكون اقوى مني فلم املكه ، ولكن كونوا على عجل .

فسوى ما قال ، فلما مرّه العبد قبض عليه ، فكان

---

(١) الرجل يدعى (أبو حمزة) وهو الذي قتل الامام تركي ، وفيه المثل : (فرد أبو حمزة ثاير ، ثاير) .
يقال : ان مشاري تردد في قتل تركي عندما رآه ، فقال أبو حمزة هذا القول : أي لا بد من اطلاق الرصاص من الفرد .

(٢) كذا في الأصل .

العبد قوياً بزيادة ، وعبد الله ليس بناقص في القوة ولا في الجسم ، ولكن قوة الترف ليست مثل قوة العَمَلة .

فلما قبضه كان قبضته له أن جعل ذراعيه على عضدي العبد وبطنه إلى ظهر العبد، والعبد إذ ذاك معه كردة (سيف عريض غير محني) فلما ان انتفض بعد أن أحس بالقبض عليه وشاف أن ماله تخلص نكس الكردة على ذراعي عبد الله يحزهم حزاً .

فعند ذلك صاح عبد الله على ربْعه [1]: أدركوني ، فجاءه عبد لفيصل وإذا هم في الظلمة وهم متلاصقين ، فقبض على الذي يواليه منهما فقال : أيكم هذا ؟ فقال عبد الله : المسه بالسيف فلمسه ، فقال : أهو أنت أم لا ؟ فقال : إن كان عندك شيء فاقطعه ، فعند ذلك طعنه بالسيف في الخاصرة فاذا قد قضي . فاذا عبد الله قد أثرت كردة العبد في يديه أثراً جيد ، ولذلك يقول في قصيدة يعاتب فيها فيصل بعد زمان :

شهودي بْجِلْدِيْ والعَدُوْ بِهْ بَدَالَهْ

والناسْ تدريْ بالْجِدَايِدْ و الَاسْمَالْ

فلما فرغوا من قتل العبد خلصت قوة مشاري ، وأصحابه

---

(١) ربعه : أصحابه .

بين رجل طلب الأمان ، وبين رجل اختفى ، وبين رجل لم يؤبه له ، فعند ذلك فتحوا الباب وكان مبني في اللبن والطين من داخل لأنهم يخافون أن يحرق ، أرادوا يقتلون مشاري لما وجدوه مصاب ، فمنعهم عبد الله عن ذلك وقال : ألا يحضر فيصل ، إن قتله في قود وإن عفا فهو خير .

فلما دخل فيصل ورأى عبد الله تكدر،وسأل عن مشاري فقالوا له إنه دخل في المسجد ، وعند ذلك دخل عليه وقال: أنت خنت وقتلت شيبة من شيبان المسلمين بغير حق ، وإماماً من أئمة المسلمين والآن الشرع يأمر بقتلك ، وأمر عليه وأُخرج من المسجد وقتِل . هذا ما كان من أمر مشاري .

بين فيصل وابن ثُنَيَّان

فلما قدم فيصل إلى نجد من مصر أرسل ألى آل الرشيد أن يأتي أحدهم ، وكان عبد الله عليه أثر سخونة فأرسل أخاه عبيد فتوافقا في القصيم ، وإذا ابن ثنيان في القصيم لمحاربة إحدى العاصمتين فشاور فيصل عبيد وقال : ما ترى ؟ نحن نروح للرياض رأساً أم نبقى في هذه الديرة المحاربة له ؟ فقال عبيد: أما الرياض فلا فيه فايدة ، لأن القوة وأهل الرياض وأهل نجد كلهم تحت يد ابن ثنيان وهم الآن معه ، ولا تفيد روحتك للرياض ، ولكن أنا أركب إلى مطير (القبيلة) الذي رئيسهم الدويش (وقد كان أبو عمر) والذي حولهم من العربان

وعرباننا شمَّر يأتون إن شاء الله في ستة أيام ، فإذا بقوا معه هؤلاء أغرنا على أهلهم وأخذناهم وهم عُتَـيبة وناس من متمردي أهل الجبل الذي مالهم قصد إلا النهبة واضداد مطير وشمر ، فان هربوا قعد ما عنده بدو خاف من الحصار .

فكانت المسألة كما قال عبيد ، لمـا بلغ ابن ثنيان الخبر هربوا البدو الذي معه ، وبعضهم قدم على فيصل يعتذر ان ما حملنا إلا الخوف منه . فعندئذ أرسل الله عليه رجفة من الرعب فهرب (ابن ثنيان) من القصيم إلى الرياض رأساً .

عند ذلك خفف فيصل في طلبه ، وكان عبيد لم يحضر في تجميع العربان ، ولا أشاروا على فيصل (أصحابه) أنه يروح بغير قوة بدو . حالاً كتب لعبيد خط على أن هذه المسألة ، وانت ساعة وصول الخط اليك تقدم علي ، والجنود نواعدهم الارطاوية (ماء) – وهي الآن فيهـا قصر بنوه المدعية من البدو الذين دخلوا في الديانة من العام –

فلما وصل الخط إلى عبيد ركب حالاً بامتثال أمر فيصل ، فلما قدم عليه قال :

أنا أبشرك أنه ما يبقى ، وان ما يتبعه أحد من بعد ما شرد، وهو لم يشرد من قـلة جند ولكن رعب ، فإذا ألقى الله سبحانه وتعالى الرعب في قلب انسان وهو من الشجاعة في محل لم ينظروا اليه الناس الا بعـين الخذلان ، كأني به اما يسوي سواة مشاري والا يهرب ، وأنت الآن لا تستعجل

صلح أحوالك أنت وأهل القصيم ، وخذ منهم مواثيق وعهود على السمع والطاعة ، وهو خله يعبث بأهل نجد الذي حوله ، لأنهم ينبذون طاعته قبل أن تصل اليهم .

وصار الأمر كذلك .

استقام فيصل ثمانية أيام في القصيم ، ومشى ابن ثنيان ، جعل كلما مر على بلد أرسل إلى أهـله يتوعدهم ويتهددهم ، اما سلموا اليه المبلغ الذي يجعل عليهم من طعام والا فلوس .

أما القرى الضعيفة فهي سلمت ، وأما البلدان القوية فهم حالاً أعلنوا نبذ الطاعة ، وهو لم يقدر أن يستقيم لأن الطالب حثيث .

فمشى فيصل وكان كلما مر على بلد استقبلوه أهلها بالذبائح والكرامة والسمع والطاعة ، حتى أنه وصل إلى الرياض .

فلما نزل الدرعية بلغ ابن ثنيان الخبر ، جمع أهل الرياض وقال : ويش عندكم ؟ قالوا : مـا عندنا إلا ما تحب ، ان أردت نظهر ونعترض لفيصل ونطرده فعلنا ، فسر بذلك.

فعندئذ جاءه رجل من ثقاته فقـال : أنت مجنون ؟ ما يذكرون أهل الرياض منك وما يذكرون من فيصل حتى أنهم يطردونه ويؤونك ؟ ، انمـا جعلوها لك خديعة ، يريدون أن يظهرونك من الأحواز إلى الأبراز ، ويشدونك برمتك ويقبّضونك فيصل ويكونون قـد استراحوا منك ، وأخذوها يداً عند فيصل أنت الآن ما أرى لك إلا أمرين :

إما أن تهرب وتأخذ جميع ما في خزانتك وتَنَحَّي ، فإن قدرت بعد ذلك فتكون الحرب بينك وبين فيصل سجال ، فاما قدرت فتكون معذور ، فان كان تريد أن تشترف على غاية أهل الرياض وتتجلد إلى أن يقرب فيصل ولا أظن أنه ينجح لك الأمر إذا فعلت الثانية .

عند ذلك أحس ابن ثنيان بالخوف وأظهـــر الغيظ على الانسان المتكلم : انك تأمرنا بالفشل وتحبب الينا الهزيمة ونحن قويون أشداء ، ولكن إنما قولك .. قال الانسان : تدري اني لم آمن على نفسي من فيصـــل إلا أن يشاء الله لأني محضتك النصيحة قبل . والآن ، وفيصل يدري وأهل نجد يدرون ، ولكن لا نصيحة لمعصيّ .

فعند ذلك ارتحل فيصل ونزل عن الرياض قريب نصف ساعة في جانحة النخيل ، فلما أشرف ابن ثنيان من أعلى القصر رأى منظر هاله من كثرة الجنود ، ورأى أن أهل الرياض لم يكن فيهم أهمية دفاع ، لأن القوم نزلوا في البلاد ، فعند ذلك أسقط في يده ، فنادى مناديه : يا أهل الرياض انفروا ، وقالوا : ثكلتك أمك ، لم نكن لننفر على رجل أنقذنا هو وأبوه من كل محنة ، ونكون معك وأنت طاغ باغ .

فعند ذلك انكشف له الغطاء ، وأحاطت خيل فيصل في البلاد من كل الجوانب ، وكان مجبور على الحصار ، وكان معه في القصر قدر أربعين رجلاً ، لما أغلق على نفسه باب القصر

ظهروا أهل الرياض لتلقي فيصل ولديهم الذبائح ، وأخبروا فيصل أن ابن ثنيان انحصر وسدّ على نفسه .

عندئذ مشى فيصل ودخل البلاد ، واستقام ابن ثنيان في الحصار أياماً قلائل ، ونزل من الرجاجيل الذي عنده مقدار عشرة من دون أن يدري ، فلما علم أن المسألة طالت وان رجاله يتسللون ويأتون فيصل عرف أن ماله من الحالات إلا أن يطلب الأمان .

عند ذلك طلب من فيصل أن عبيد ابن الرشيد يدخل عليه يعطيه الجواب ويؤديه فيصل ، بعد يوم أشاروا عليه على أنك ترخص عبيد ، أمر على عبيد ، استمثل أمره، تكالم عبيد مع ابن ثنيان ، أعطى عبيد أمان على نفسه وقال عبيد : أبغي أدخل مع أحد خدامي ، وقال : لا بأس .

حينما وصل عبيد لباب القصر نزلوا حبل ، قالوا : اصعد. قال : فكوا الباب، قالوا : الباب مسدود ولا نقدر أن نفكه إلا بأمان من فيصل . حالا صعد عبيد بالحبل ومعه غلام أخيه عبد الله واسمه (عنيبر) .

يقول عبيد : إني يوم واجهته وإذا هو مختل وفيه رهبة مع أنه شجاع فاتك ، جلست عنده ، قال لي : إني أخاف من فيصل انه يقتلنا ، وأنا ما أطلب شيء ، إنما نجد خليت ، وكنت أنا أحق بها من غيري ، والآن جاء صاحب المكان ، أنا حفاظ وديعة وأرد الأمانة إلى أصحابها ، على أنك تضمن لي الأمان واني أنزل في وجهك .

يقول عبيد : صار في خاطري أن فيصل إما يقتله حالاً وإما يحبسه حبساً .

أما القتل فقلت يا أخي أنا رجل أجنبي ، ولو اني لي مقام عند فيصل ، معلومك حال الأجنبي انه ما يقدر يتقـلّـط على ناس في أمرهم ، وأنتم حمولة من دوني ، غير اني ما أذخر عن السبب الذي أشوف به لك َفلَـك ، واخبرك ان فيصل مكاتبه بعض خدامك الذي عندك ، وإنه يسوي سلالم الليلة الآتية يبغون يرقون عليك ، فان كان انك ما انت شايف بروحك قوة فأنا أكتم أمرك على فيصل من جهة ضعفك ، واقول له انه يبغي أخيك جلوي لأنه ينزل معه إذا أمنه .

فعند ذلك قبل ابن ثنيان ، وشكر عبيد مع أن الكل منهم متحذر من صاحبه حذر خفي وظاهر ، حتى أن عبيد يقول : يوم جلست عنده أخذ سيفي ويقول : ويش اسم سيفك هذا ؟ قلت له : اسمه مْعَزّي ، بعد ما تناول سيفي تناولت سيفه المشهور الذي اسمه (أبا القمدان) ، وكان يظهر السيف علي شيئاً فشيء ،وأنا أصنع مثل ذلك ، لما شهر السيف وإذا أنا شاهر سيفه ، يوري أنه ينظر لصنعة السيف وأنـا كذلك ، وأنا ظنيت أن عنده شيء وبنيت على الاحوط ، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله .

لما رأى اني في يدي سيفه أغمد السيف ، وأنا فعلت مثل ذلك ، فلما ناولني سيفي ناولته سيفه ، فودعته وأتيت إلى

الباب وإذا الباب مرتوق (مسدود) في لبن وطين ، رجعت ونزلت مع الحبل ، حالاً وصلت إلى فيصل ، أخبرته بأنه عنده عدة للحصار ولكن عرضت عليه الأمان ، وقال لي : ما أقبل إلا يجي جلوي ، فإذا جاء جلوي معه مكتوب من فيصل نزلت حالاً .. كتب فيصل مكتوب فيه أمان ، وليس بالقوي ، ودفعه مع جلوي أخيه .

فلما صعد جلوي وأعطاه المكتوب قرأه وإذا فيه : « اني ما أطلق سراحك ، بل أحفظك ، وأما القتل ما أقتلك » . بعض خدامه لما رأوا جلوي أشّر لهم جلوي على أن الذي يبغي العافية ينزل ، فنزلوا غالبهم .

فلما رأى ابن ثنيان أن المسألة هكذا قبل ، وهو يدري أن الأمان ليس بتامّ ولكن للضرورات أحكام . نزل حالاً . أمروا على القصر فتح بابه ونزل الردم مما عليه .

أما ابن ثنيان فهم حبسوه في بيت الذي فيـــه عبيد بن الرشيد لأن فيصل لم يثق عليه أن يطلق إلا عندهم ، وقال : ما دمتم عندنا توكل به من رجاجيلك من يحفظه ،مع أنه مُكبل بالحديد ومغلق عليه بيت .

مضى أربع ليالٍ بأيامهـــا وإذا ابن ثنيان مخفي فلوس في (أكار) ومعطي الحباس الذي عنده واحد فيه مئة ليرة ، الحباس ارتاع لذلك ، حالاً أخبر عبيد وأعطاء الهِمْيان (الكمر) . اشترف على الفلوس ، حالاً أخذ الفلوس ودخل

على فيصل وقال : أما إن كان حبسك لابن عمك مؤبداً فإنا نستعفيك ، فان كانما هو مؤبد فلا بأس، لأنه أعطى الحباس هذه الفلوس التي بين يديك ، ووضعها قدامه . وأنا مـا آمن إذا صار يعطي فلوس أنه يخرج ، تكون المسألة تَبِعَتْها عليّ ، حالاً قال فيصل : أعفيناك ونحن نوكل فيه من يحفظه في غير مكانه هذا .

نقلوه من بيت عبيد وحبسوه في بيت مُتْحِد ، فلمـا استقام ستة أيام أو سبعة قالوا : تزهد ابن ثنيان ومات . والسبب أن الحبابيس الذي صاروا عنده قاتل آباءهم ابن‌ثنيان، واغتالوه وقالوا مات . وعند ذلك فيصل لسان حاله يقول : لم آمر بها ولكنها لم تسؤني .

استقرار الملك لفيصل

استقر الملك لفيصل وجَبَى نجد كلها وعمان والاحسا والقطيف وقطر ، واستقر نجد تحت حمايته بأحسن حال وفي أرغد عيش .. فقد صار بعض الحوادث من أهل القصيم الذي عادت وبال عليهم ، منها أن قُتِل أمير بريدة وعائلته اثني عشر رجل - وهو المسمى عبد العزيز بن محمد - كان قد هرب من بريدة يريد المدينة . لحقه محمد ابن فيصل في سرية وقتلوه .

وفي أيام فيصل الذي يتولى الغزو ابنه عبد الله ، الذي أجمعوا أهل نجد أنه من تاريخ مئة سنة ما شافوا أجود منه

في الكرم والفروسية ، وليس بقاصر في الدهاء .

عبد الله بن فيصل

فلما مات فيصل تولى الأمر ابنه عبد الله ، وسار على سيرة فيصل ثلاث سنين أو أربع .

عند ذلك ظهر عليه أخوه سعود ابن فيصل ، وهو كان – أعني عبد الله – قد صار بينه وبين العجمان (القبيلة) بعض المشاغبة انتهت عن تلافيهم ، حتى انهم قد كانوا قبل من أكبر بوادي نجد إلى أن صاروا أفراد ، ووقائعه معهم مشهورة مثل (الطـّبْعَة) و (مَلـَح) وغيرهما ، فلما جرت عليهم هذه الوقعات تشلتوا .

بعدما ظهر سعود اجتمعوا عليه ، وفي سنتين كان معهم جمع غفير مع الذي فيـه خلاف على عبد الله ، صار سعود مُزَبّن ، من غضب عليـه عبد الله راح لسعود ، فزحف سعود ، ووجه اليه عبد الله أخاه محمد في قوم من أهل الرياض وبوادي الرياض سبيع والسهول ، فتلاقوا في مكان يسمى (جُودة) ، وهو بين الاحساء والرياض ، وصارت الهزيمة على محمد ، وقتِل من قومه مقدار اربعماية بين الحضر والبدو ينقصون عـن ذلك ، إلى أن طالت المدة وكان بينهم عدة وقعات ، منهـا يوم (البَرّة) ويوم (المِعْتَلى) ويوم (الجِزْعة) حتى ان سعود استولى على الرياض .

وبعد أن استولى على الرياض فعلوا البدو في أهل الرياض أفعالاً منكرة من جهة المالية ، وشرحها يطول ، فقط أنهم يأخذون من صاحب البيت جميـع ما استحسنوا من أثاث وسلاح .

بعد ذلك صار عبد الله عند قحطان ، قبيلة من بوادي نجد ، وظهر سعود يريد الاحسا فيــه مناصيب لعبد الله وحصرهم ، عند ذلك أرسلوا أهل الرياض لعبد الله ، ودخل الرياض ومشى على سعود في الاحسا .

وفي هذه السنة المذكورة كان استيلاء الترك على الاحسا بواسطة سعود ، لأنهم وعدوه أنهم يملكونه نجد ، فعند ذلك أعطوا عبد الله مكتوب : اننا آخذين الاحسا بالضمان وهو لكم إذا صلحتم ، مادام انكم هكذا إن قدرتم على تصليح أحوال نجد فهو شيء كثير ، والاحسا شيء ما يتفرط فيه ، مع أن ها الطايفة الخبيثة موالية له – يعني العجمان – ولم يزالون أهل الحسا تحت سيطرة العجمان يأخذون ما يشتهون ويتركون ما لا يشتهون ، والعسكر الذي داخل الدروازة مأخوذ منه الحق ، والذي من ظاهر ما لهم عليه شيء ، حتى ان العجمان قتلوا كم نفر في وسط البلاد والعسكر واقفين ، منهم صاحب الكمرك ومنهم محمود بك وعـدة نفر ، إلى أن استولى ابن سعود ، فارتفعت سيطرة العجمان .

أما سعود فلم يلبث أن مات من علة ، ويقولون بعض

الناس أنه مسموم ، وقد خلف أولاد ، أكبرهم اسمه سعد ، وبعده محمد ، وبعده عبد الله ، وبعده عبد العزيز

فلما استقام عبد الله بن فيصل سنة قاموا عليه أولاد أخيه وصار بينهم وقعات انفصلت انهم تقاسموا المملكة النجدية ، وكان عاصمتهم الخَـرْج وملحقاته ، وهو – أي عبد الله – على الرياض وملحقاتـــه ، لبثوا سنتين ، بعد ذلك قاموا عليه خيانة وحبسوه .

محمد بن رشيد يستولي على الرياض

جاء الخبر محمد بن عبد الله الرشيد في كتاب من عبد الله بن فيصل ، وهو إذ ذاك عنده بنت ُعبيد ، فلبّى نداه ؛ وغزا وحصر أولاد سعود بالرياض ، وأصلحوا على أنهم يرجعون على حدهم الأول ، وان عبد الله يبقى على حـــده ، وانك تصير كفيل ؛ بعد ما ظهر عبد الله وإذا هو مـــريض من داء الاستقاء وطلب من محمد ابن الرشيد أنه يجعل في مكانه خليفة من أوادمه ، وانه يسافر هو وزوجته ُطريفة بنت عبيد الرشيد إلى حايل، فامتثل أمره محمد ابن الرشيد ؛ وأمر في البلاد رجل يسمى سالم بن سبهان وقفــل راجعاً وصحبته عبد الله بن فيصل ، واستقام في الجبل سنتين .

أما أولاد سعود فلما استقاموا في الخرج سنة أتى سالم بن سبهان منهم أخبار على انهم يتهددونه ويتوعدونه في القتل ..

حالاً ركب ابن سبهان معه مقدار خمسة وثلاثين خيالاً فهجم عليهم وهم وقتئذ ليسوا في أهبة تحفظ ، إنما هم متفرقون ، لأن عندهم عدة نساء وعدة بيوت ، ومعلوم حال صاحب النسوة المتعددة مما أنـــه يوفيهن حقوقهن كل يوم بالمجالسة والمشاهدة .

لما كانوا في هذه الصورة وأقبل ابن سبهان على البلاد واذا هو مكاتب ناس من أهل البلد الذين قد قتلوا منهم آل سعود عدة رجال . من أجل هذا الأمر كانوا يراجعون ابن سبهان بأخبارهم ويفحصون له عن أسرارهم .

لما دخل أطراف النخيل وإذا بعـدة نفر ينطحونه في الأخبار وان هذا مكان محمد ، وهذا مكان سعد ، وهذا مكان عبد الله ، وعبد العزيز إذ ذاك لم يكن حاضر ، انمـا هو راكب إلى العجمان ، يقولون انه يطلب منهم المساعدة على ابن سبهان .

فهجم ابن سبهان في خيله بعد ما فرقهم فرق ، وجعل كل فرقة تنصى واحد في مكانه ، وخلاهم مع وسط البلد وقال: من سألكم قولوا نطلب ركب سارقين لهم معاويد (المعيد البعير الذي يُساق على النخل) وذلك من حلول صلاة العصر .

فحالاً صادفوا عبد الله خــارج من بيت إلى بيت وهم يعرفونه فقتلوه ، وأما محمد احسّ بالخبر وركب فرسه وهرب وإذا الذي لم يطلبوه ينظرونه فطردوه وانهزم ، وهو شجاع ، ولكن (واذا المنية أنشبت اظفارها) .

فعند ذلك دخل في قصره ، والقصر بعهده له بابان ، وقصده أن يغلق الباب الذي مما يليهم ويخرج من الباب الثاني ليكون بينه وبينهم مسافة ربع ساعة ، لأن القصر فيه حيطان ومزارع وحفار (حُفر) .

فلما ترجَّلَ عن فرسه وفتح الباب ، وهو باب كبير لأنه تدخل معه الإبل السواني (المعاويد) من العجلة وشؤم الحظ انطبق الباب على حبل الفرس وهو داخل والفرس ظاهر. ولما رأى الحالة هكذا عمد إلى برج وهو معه (تفك) أم سبعة عشر كبلة ، وقصده أن البرج يحوطه حتى يأخذ بثأره .

فلما صعد البرج إذا البرج ليس فيه منفذ ليخرج التفك بدون أن يرى إلا فرجة فوق الميزاب (في العامة المزراب) وهي لم تساعفه على الرمي ، لانها تعسر وصاحب التفك إلا يكون مكانه عِدِلْ .

الطلب لما وصلوا إلى الباب قبضوا الفرس ودخلوا وترجلوا وقبضوا خيلهم اثنين منهم وهم تفرقوا يتجسسون ، فعند ذلك لاحت من أحدهم نظرة وإذا هو يرى خاصرته من عند الفرجة فكتم على أصحابه ورماه بالبندق فحالما وصلت إلى بدنه قضى نحبه من الرصاصة ، والله المستعان .

أما سعد وهو أكبرهم فشرد ، وكان هنالك عرب يسمون (الغُسَيْنات) فلما علم ابن سبهان ان محمد وعبد الله قتلوا وهم الذي منهم المحذور سأل أين توجه سعد ؟ قالوا : توجه إلى العرب المذكورين ، حالاً التفت إلى السوق ، سوق البلدة ،

وإذا فيــــه الناس من أكابر العرب المذكورين ، أمر عليهم يحبسون حتى يأتوا في سعد ، فان ما أتوا فيه عاهد الله أنه يقتلهم ، وقد كانوا اثني عشر رجلاً غالبهم من أبناء كبراء العرب، فلما أصبحوا أتوا به اليه ، فقتله ، ورجع إلى الرياض.

فكتب إلى محمد بن الرشيد يخبره في الخبر ، فعند ذلك محمد قام من مجلسه مغضب وقال : والله وبالله وتالله فلا عندي مما سوّى ابن سبهان خبر ، لا دقيق ولا جليل ، وإني أشهد الله اني لم آمره به .

ومشى إلى عبد الله بن فيصل وأخبره وحلف له ، وقال عبد الله : عندي من المعلوم بأنك لم تأمر عليهم، ولكن هذي عاقبة بغيهم عليّ ، ونكثهم لعهد الله بيني وبينهم ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (كذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) .

أما عبد العزيز بن سعود بن فيصل لما بلغــه خبر مقتل اخوانه وبلغـــه خبر مقالة محمد بن الرشيد ، قدم على محمد واكرمه وحلف له مثل ما حلف آنفاً ، فقبل ، فعند ذلك أرسل محمد بن الرشيد يعزل ابن سبهان وولى بعــده فهاد بن عيادة الرّخِيص .

فلما أقام عبد الله بن فيصل في الجبل سنتين طلب من محمد ابن الرشيد أن يرجع إلى الرياض ففعل ، ورجع هو وزوجته ومحمد بن فيصل ، وأخوه عبد الرحمـــن بن فيصل إذ ذاك في الرياض .

فلما قدم عبد الله الرياض وكان محمد بن الرشيد أعطاه خيلاً وركاب وما يلزم مما يليق بحق الجميع استقام ثلاثة ايام وتوفي رحمه الله .

فعند ذلك ورد الخبر الى محمد بن الرشيد ، وحالا كتب لمحمد بن فيصل على انك أنت الامير في الرياض ، وأن فهاد ورجاجيلنا يأتون إلا أن بغيت يبقونفهم تحت أمرك،واستمر على ذلك محمد سنة ونصف ، وقد تزوج زوجة أخيه عبدالله المذكورة وتوفي .

فعندئذ رجع سالم بن سبهان أميرعلى الرياض، وعبدالرحمن ابن فيصل جاء إلى حايل . استقام به أشهر قلائل، استرخص ورخصه محمد بالرجوع إلى الرياض ، فلما استقام سنة قام على سالم بن سبهان وحبسه هو ورجاجيل محمد بن الرشيد وأخذ سلاحهم واستقل بالرياض .

فلما أتى الخبر محمد بن الرشيد غزا إلى الرياض وانحصر عبد الرحمن فيالبلاد ، وقد كانت مسورة ، وعدة أيام الحصار أربعين يوم ، وقال محمد بن الرشيد : أنا مالي في بلادكم حاجة، انما أنتم الذي جلبتموني إليها،الآن بلادكم لكم ، فقط رجاجيلي وسلاحي تعطوني إياهم ، وبعد ذلك إن أردتونا صديق فنحن كما أردتم،وإلا فكلذرعه يكسيه، فعندذلك قال عبدالرحمن : إذا سلمنا لك رجاجيلك وسلاحك ترتحل؟ قال : نعم. ففعلوا كل منهم ما قاله لصاحبه .

ورجع محمد بن الرشيد إلى بلاده ، وقد تنكر له حسن بن

مهنا وهو أمير بُريدة إحدى عاصمتي القصيم ، وزامل بن سليم أمير (عُنيزة) العاصمة الثانية من القصيم .

فلما استقام محمد بن الرشيد أربعين يوماً ظهر غازي إلى نواحيهم ، أي القصيم ، فكانت الوقعة المشهورة بينهم المسماة بوقعة (المُلَيْدا) أنجلت عن قتل أنفس كثيرة من أهل القصيم من أعيانهم الرئيس زامل وابنه وإبن أخيه ، وأما حسن فهو كسرت يمينه وانهزم الى عنيزة ، وهي فيها آل بسام ورئيسهم عبدالله بن عبد الرحمن آل بسام ، وهو إذ ذاك من أعز أهل نجد على ابن الرشيد ، فقال له حسن : اني أتيتك لتؤمنني من ابن الرشيد فقال له: أما أنا ما أقدر ولا لي حجة فانودك أنك تنهزم فأنا أدبر معك من يهزمك وأنت تحتك جيش وخيل .

فأبى حسن إلا أن يواجه ابن الرشيد ، فلما أصر ركب عبد الله ابن عبد الرحمن إلى ابن الرشيد وأخبره بالقصة وطلب له امان ، وقال ابن الرشيد : اني لم آمنه ، لأني لقيت له مكاتيب بينه وبين عبد الرحمن آل فيصل فيهن مواعيد علي والآن يوم انك تكلمت ، القتل ما أقتله ، ولكن احبسه حتى يموت ، إن قبل فيأتي ، وان ما قَبِل يسوي ما بداله .

لما أتاه الخبر جاء في محمل ، وحالا ارسلوه إلى الجبل ، فلم يزل محبوساً مدة خمسة عشر سنة ، وقد كان قبل أميّ ، وختم القرآن في الحبس وتديّن. بعد ذلك توفى وهو في سن السبعين أما أولاده فلم يزالوا محبوسين حبس إكرام إلى أن فرج الله لهم وشردوا وطبّوا الكويت .

أما عبد الرحمن بن فيصل لما قتلوا أهل القصيم ، عَلِمَ ان محمد ابن الرشيد أشرف على مكاتيبه ووعده لهم صار يترقب . أما محمد فغفل ولم يذكر شيئاً كأن ما سمع شيء ، حتى مضى ثمانية أشهر وهو لم يزل يترقب فرصة عبد الرحمن ويرسل عليه الجواسيس والعيون خِفية ، حتى انهم جاؤوه وقالوا : انه ظهر من الرياض ونزل قرية يقال لها (حُريَملة) [1] ، وعنده شرذمة قليلة من البدو وهم العجمان وبعض شيع .

وعند ذلك ركب حالاً ابن الرشيد غازياً ، فلما وصل (حريملة) [1] أرسل خيلا عيون ، جاؤوا مسرعين على انهم قد رأوا خيام عبد الرحمن ؛ وقد كانت ثلاثين خيمة ، فحالاً أمر على القوم أن يجردوا الركاب من جميع النقل، وأن يركبوا خفافاً . والمسافة التي بينهم خمس ساعات،وذلك بعدما تعلّت الشمس .

فعند ذلك أغاروا عليهم فجأة ، ولم يكن لهم من النجدة إلا الهزيمة ، أما عبد الرحمن فهم انهزموا فيه أربعة خيّالة من العجمان وجنبوا فيه درب الهزيمة وانحدروا إلى الأحسا ، أما الهزيمة فالذي قُضب ذلك النهار فلا تسأل عنه .

بعد ذلك قدم جيش إلى الرياض يخبرهم وقد جاءهم بعض الفلّ (الهزيمة) قالوا : نحن ما نريد إلا محمد وعبد الرحمن ،

---

(١) صواب اسمها : (حريملاء) تصغير (حرملاء) .

نحن له كارهون ، ولو أن مـــا هذا الذي عندهم ، الظروف تقتضي ذلك .

حالاً قدم ابن الرشيد الرياض وقضّ السور الذي محيط بالبلدة وقضّ الحِصن وخلّف فيه فهاد بن رخيص المذكور أولاً .

فعند ذلك اجتمعت كلمة أهل نجد على محمد بن الرشيد إلى أن توفي في سنة ١٣١٥ ، رحمه الله .

عبد العزيز بن متعب بن رشيد

وتولّى بعده ابن أخيه عبد العزيز بن متعب ، ولم تزل الكلمة ثلاث سنين على اجتماعها حتى ظهر ابن صباح ، وكانت الوقعة المشهورة الذي تسمى بوقعة (الصَّرِيف) أو الطُرفية ، وذلك أن الطرفية قرية ، وان الصريف ماء ، والمسافة بينهما ساعة ونصف .

وقد كان ابن صباح نازلالطرفية وابن الرشيد نزل الصريف ومشى على ابن صباح فكانت الوقعة بين الماء والقرية ، ولذلك يسمونها هذين الاسمين ، وقد كانت في سنة ١٣١٨ .

رجع الكلام إلى ابتداء دولة العائلة الرشيدية ، وهي اسرة يرجع نسبها إلى قحطان ، وعاصمة ملكهم البلدة المسماة بحائل ، وهي في سفح جبل طيّ المسمى اجا ، من جهة الشرق مقدار ساعة إلا ربع ، واسم حايل قد كان على وادٍ يمر قريباً من

البلد ، والبلد كانت على جانبه الغربي ، ومنها قسم ليس بكبير على الجانب الشرقي في أسفل الوادي .

وقد كان الجبل من زمان حاتم إلى الآن ما تولى عليهم أجنبي ، والشواهد لذلك كثيرة ، كما قال شاعر طيّ يذكر الجبلين :

لنا الحِصْنَانِ من أَجأٌ وسَلْمى
وشرقياهما غير انتحال
وتيماء التي من عهد عادٍ
حميناها بأَطراف العوالي

والشاهد على أن حايل اسم للوادي ، قول بعضهم :

ولما اتينا السفحَ من بطن َحايل
بحيث تلاقي طَلْحُها وسَيَالُهَا

وكما قال امرؤ القيس حينما جاور طي :

تبيت لبوني بالقرية ، آمناً
واسرحها غِبًّا بأَكناف حايل

وأما اجا وسلمى فهما أشهر من أن يذكرا .

وقد كان في السنين الماضية العمران في نفس الجبل المسمى

أجا ، لأنه جبل واسع ، والآن العمران كما ذكرنا على سفحه .
وقد ذكر ياقوت صاحب المعجم سبب قدوم قحطان [١] إلى الجبل وأهله الأقدمون ، يراجع في محله .

ابتداء أفراد آل الرشيد

أما مسألة ابتداءأمر آل الرشيد وهم عبد الله وعبيد ابنا عليّ بن رشيد بن حمد فهم كانوا أولاد ، وعُمْر عبد الله في العشرين ، وعمر عبيد في الثامنة عشرة ، والمستولي على الأمر عائلة هم أولاد رجل يجمعهم مع المذكورين اسم آل علي [٢] .

فعند ذلك كان المستولي ضعيف الرأي وعبد الله وعبيد طلبوا العُلى ، فكانا إذا أصاب أهل البلد نقص من جهة البداوة الأجنبية غضبوا ، وهو يريد الدعة والسكون ، واسم المشار اليه : صالح بن عبد المحسن ، وكان إذ ذاك باديتهم لم تتسع نواحيها مثلها الآن ، مع أنهم ليسوا قليلين ، والذي مضادهم قوم من عنزة ، رئيسهم يسمى عقاب ، وأخوه حجاب ، وأبوهم سعدون العواجي ، حتى انهم نزلوا عن البلاد

---

(١) كذا والصواب (طيء) وطيء من قحطان .

(٢) جد قديم للأسرة المستولية قبل آل رشيد ، وهم وآل رشيد متسلسلون من صلب واحد ، والأولاد المشار اليهم كانوا ثلاثة : أحدهم صار جدّ الطائفة المستولية عندئذ ، والثاني جد عبد الله وعبيد ، والثالث جد نسل باق ما صار لهم شراكة في الملك ، والفروع الثلاثة لم ينقرضوا (ص) .

مقدار ست ساعات ، وانحصرت بادية الجبل ، وكان بينهم حرب ، وهم يسمونها المناخ ، لأن مواشيهم لم تسرح .

فعند ذلك غضبوا الحضر وأرادوا الخروج ، فمنعهم صالح الرئيس عن الخروج . أما عبد الله وعبيد فلم يرتدعوا ، بل خرجوا حالاً لنصرة باديتهم ، وخرج معهم مئة وخمسون رجل من الذي ساقتهم الحماسة ، ولم يقدر الرئيس على ردهم لأنهم خرجوا خفية ، فحالما وصلوا اليهم انكشفت الهزيمة على عنزة وأُخِذُوا وقُتِلوا ، ولم تَقم لهم قائمة على أهل الجبل إلى الآن ، وهي الذي يقول فيها شاعر شمر – مُبيريك :

الشيخْ بَدَّلْ هَدَّتِـهْ بانْهِزَامِ

وعُقْبَ الكِتَبْ قُوتٍ تْلاحِي المصاليبْ

والكَتَب من أفخر مراكب النساء في بادية نجد ويسمونه الظِلَّة ، وهو الذي في الحروب يسمون الذي تركبه مع الجموع (العمَّارية) و (العِطفة) ، وقوت وهو اسم أم عقاب امرأة سعدون ، تلاحي : تلامس وتحك . المصاليب : عصي الرّحل غير المكسية بوطاء .

وجِبْنا شِذَا حِشْوَانْهُمْ والْهَجَامِ

مع حِلَّةَ اليَدْيان هُمْ والمغاصيبْ

والشذا : صغـــار الابل ، والحشو كذلك . والهجام : الحلة : الأثاث ، البديان والمغاصيب : قبيلتين .

وابنْ مْرَيْحَـــانٍ تزَبّنْ ردَامِ
ُعقْبَ القِسْا مافكْ فَرْقِهْ من الذيب

وردام : جبل في أقاصي حدود بلاد عنزة للغرب .

أما صالح فلم يستحسن خروجهم -يعني عبد الله وعبيد- بعد ما عصوه وانتصروا لباديتهم في حضورهم ، حقد عليهم حتى أنه نفاهم من البلاد ، ونفى أمهـم إلى قرية فيها أهلها ، وهي من العائلة المذكورة ، وتقول عند خروجها :

يا نورْ عيني يا مْوَدَّةْ فْوَادِي
ما كِنِّي الأَمِنْ خْمَامَ الدراويشْ
جَلَّوْنْ بالقيظَ الْحَمَرْ عن بلادي
وَدِيْرة هَلِي ، فوقي كما غِيّة الْهِيش
عَسى يجِي عـــدْلٍ وَيمْشاه قادي
وتكْثرْ عذارَ اللي يْدُوْرَ التحاويش

والقادي : المستعدل في المشي ، تشير إلى استعدال حظ أولادها فقُبلت دعوتها .

أما عبد الله فخرج هو وأخوه وهم إذ ذاك ممتحنين ، أتاهم بعض الناس وقالوا : لو ركب أحدكم إلى فيصل لأنه ناقم بعض سيرة صالح ، لعله ان جاء أحدكم يكتب له الامــارة ويعزل صالح .

فعند ذلك ورد خط على صالح من فيصل [١] على ان جماعتك مشتكين عليك ، والآن تحضر أنت وإياهم للمقابلة ، عند ذلك وصل الخبر إلى عبد الله وعبيد وهم مختفين في بعض القرى ، أتاهم خبر أن فيصل طالب صالح ، حالاً ركب عبيد هو ورديفه على ذلول واحدة فساروا ، وسار صالح في أربعين رجلٍ ، فعند ذلك صار وصول عبيد قبل صالح بيوم ، وكان فيصل لم يعرفه إلا في بعض الأخبار انه ظاهر أولاد مـــن العائلة ، فعند ذلك انزله في محل الضيافة ، ولما فرغ فيصل من المجلس استدعى به وقال : مَنْ أنت ؟ فانتسب له وقد كان أبوه علي عاملاً لسعود بن عبد العزيز آل سعود على جهة الشمال وهو يجبي زكاة البادية ، وأخو علي المذكور اسمه جـبر عند سعود في الدرعية إلى أن توفي فيها بعد سعود بأيام قلائل ، وأولاده رجعوا إلى حايل ، وقد كان سعود يكرمه اكراماً زايداً لأنه بلغ عنده ، حتى انه قال لعمّاله الذي في الأقطار :

---

(١) يرى الاستاذ فهد المارك أن القصة وقعت في عهد الامام تركي ، وانه هو الذي كتب إلى صالح ، لا ابنه فيصل .

إذا ورد عليكم كتاب فيه اسمي وهو خط جبر ابن الرشيد يكون يعمل فيه ولو ما فيه مهر .

فعندما كانت الحركة على آل سعود الذي ذكرنا سابقاً خفت وطأتهم على أهل الشمال واستقلوا ، والجبل استقل استقلالاً إدارياً ، مع انهم سامعين لأوامر فيصل .

أما علي المذكور فهو صاحب ديانة وورع وكرم ، ولا يريد حركة ، وقد كان أولاده منذ كانوا أفعال الرجال يطلبون العليا وهو يردهم عن ذلك ، حتى أنهم انحدروا إلى العراق بواسطة أبيهم أنه منعهم عن الحركة على أبناء عمهم ، أي الرؤساء الأولين ، وطبّوا جزيرة شمّر ، والرئيس في شمْر بالجزيرة صفوق الجربا ، وذلك في سنة ولاية داوود باشا على بغداد ، وسار عليه صْفُوق الجربا وملك بغداد وفضى (نهب) الحلة ، وأبلى عنده أبناء الرشيد بلاءً جيّد ، وأكرمهم غاية الاكرام ، وذلك من الجهتين ، جهة النسب وجهة انهم كان لهم موقف عنده ، وقد كان في الزمن السابق من قصرت عليه المعيشة في بلاده من أهل نجد انحدر إلى العراق .

وفي هذه الأيام الذي صارت الصحبة بين عبد الله بن الرشيد وسُويّد راعي جلاجل ، استقاموا سنين قلائل ، استدعى بهم ابيهم علي ، فلما قدموا عليه لم يلبث إلا سنة ان توفي ، رحمه الله ، فلجّ صالح في نفيهم إلى ان قدم عبيد على فيصل .

فلما سأله فيصل ، وانتسب له ، قال : أخيك أين هو الكبير ؟ قال : انه عند نسوتنا ، لأن صالح اجلاهم وحنّث على الرعايا أن لا يستلقوهم ، فعند ذلك استقر عبد الله لطلب المعيشه لهم وارسلني إليك نتشكى من هـذا الرجل الذي ظلمنا ولم نفعل شيئاً ، ولم نأت من حدود أوامره شيء ، فقط انه يقول : لا تساعدون أبناء عمـكم من البدو ، ونحن لا نساعدهم إلا ان كنا نسمع الرّمي ونحـن في بيوتنا ، عند ذلك ما صبرنا ، ولم نجبر الناس ، إنمـا ظهرنا معنا رجال فيهم ما فينا .

وقال له فيصل : أنا أكتب لصالح ويحضر ، وانت تستقيم عندنا إلى أن يأتي ونشوف دعواكم ، إن كان هي كما تقول عزلناه وولّيناكم ، وانتم إن شاء الله فيكم البركة ، لأني اسمع من أهل الجبل الذي يأتون ثناء عليكم ، فعند ذلك امتثل عبيد ولم يخبره ان صالح قادم .

فلما مضى اليوم وجاء اليوم وإذا هذا صالح قادم ، عند ذلك اخبروا فيصل بقدومه وجلس مجلساً عاماً وسأل صالح : ما أقدمك ؟ وجعل يتشكى من جماعته لأن فيهم من العائلة الذي قد ذكرنا انها لم يكن لها دخل في الملك ، وهم أخوال عبد الله وعُبيد ، وقد كان منهم على الرئيس الذي قبل هذا خلاف ، حتى ان البلاد انقسمت عليهم ، ودام الحرب بينهم عشرين سنة وذلك قبل تاريخ هذه الحوادث بثلاثين سنة ،

وقد صلحوا ، فلما رأوا ما فعل في أولاد أخيهم غضبوا ولم يفعلوا بل انما تكلموا بغير حضرة الرئيس ، واخبر أن هذا كلامهم ، وهو يعلم ما جرى منهم سابق على الرئيس الذي هو أقوى منه في كل حال ، ويعلم من نفسه الضعف ، فعند ذلك ركب إلى فيصل فبثّ فيصل الخبر .

فلما أكمل حجته قال له فيصل : هل فعلوا فيك شيئاً ؟ أم ردوا من أوامرك عليهم شيء مما يلزمك ؟ قال : لا ، ولكني أسمع من بعض الناس انهم يقولون : نريد نفعل كذا وكذا ، وانا ما آمن منهم ، لأنهم جرى منهم لذلك قرائن ، فقال له فيصل : دع هذا ، ما حجتك على أبناء الرشيد ، لِمَ نفيتهم عن بلادهم واخرجتهم هم ونسوتهم على أي باب ؟ فقال : اني لم أخرجهم ، ولكن هم من حيث نياتهم خوفتهم انفسهم فهربوا ، فعند ذلك قال له فيصل: كذبت . ما هكذا المسألة ، ويا وَلدْ نادِ عبيد بن علي .

فعند ذلك لما رأى عبيد سقط في يده ولم يحر جواباً ، فقال فيصل : تكلم يا عبيد ؟ فتكلم الكلام السابق ، فقال فيصل : انشدكم بالله يا معشر المسلمين ، أهذا أحق أم لا ؟ فقالوا : إذا لم يفعلوا فعلاً يوجب نفيهم فنشهد بالله أنه خطأ . فقال : ما تقولون أنتم يا أهل حايل ؟ ولعن الله من كذب ، هل تعلمون أن عبد الله وأخاه نالوا هذا الرجل بسوء؟ فقالوا : والله ما علمنا إلا أنهم أناس يأنفون من الظلم وعند ذلك تخوّف منهم . ثم قال فيصل : أنت يا صالح معزول ،

وأنا أنظر في الذي يصلح لأهل حايل واكتب له يكون أمير ، وقوموا .

فعند ذلك انفض المجلس ، ثم أرسل بخمسة أنفار من أهل حايل سراً .

وقال : اخبروني بالمسألة على الوجه الواضح ، وقالوا : لا يخفاك اننا عندنا صالح أحب من أولاد علي ، ولكن الحق يقال انه مخطي وانهم لم يدعوه ، إما صار لهم منك فرج فهم لازم يقتلوه ، لأنه فعل فيهم فعل يأنف منه الذي له أدنى نفس ، فقال : ترون أنهم أهل للأمر ؟ فقالوا : ذاك إليك ، فأما أخوالهم الذي اليوم هم نصف أهل حايل مع تبعاتهم من الجيران لم يتركوا صالح إلا أن يكون أولاد اختهم — أي أولاد علي — أمراء .

فلما استقاموا الوفد عند فيصل اسبوع رخص لهم بعد ما فعل فيهم فعل الوفد من الكسوة وما أشبه ، وكتب كتاباً إلى أهل حايل [1] : إذا ورد عليكم صالح وعبد الله وعبيد

(١) علق الاستاذ فهد المارك على هذا قائلاً : أعتقد أن الراوي أثر عليه المرض ، حتى أصبح يروي الأحداث على غير حقيقتها : اذ كل من له المام بالتاريخ يعلم بأن الامام فيصل بن تركي عين عبد الله العلي بن رشيد أميراً في حايل ، منذ أن استولى عبد الله على قصر مشاري ، عند ذلك منحه فيصل امارة البلاد ، مكافأة له على عمله ، لا كما يقول الراوي من أن فيصلاً كتب لأهل البلاد ، ليختاروا أميراً لهم ، فهذه الرواية كلها خطأ في خطأ ، لأن امارة عبد الله الرشيد في حايل كانت في عام ١٢٥٠ — أي في العام الذي تولى فيه فيصل الحكم بعد قتل مشاري .

فاختاروا أيهم شئتم ، ويكون هو الأمير ، وأما أنا فعزلت صالح لأني أشوف أنه عاجز ، فإن ما شفتم أولاد علي لايقين للامارة فيكونون مستقرين في بلادهم ، ولا عليهم يد طائلة ، الا أن يحدثوا حدث في الدين أو في الحكم ، وأما حاجات النفوس فلا .

فعند ذلك ركبوا ، فلما قدموا الجبل أبى صالح ، وأخذ الخط يوري أنه يبغي لاجل يقرا على الجماعة ، فمزقه وقال : نحن أكثر عدد ونحن ولاة الأمر من مدة مئتين سنة ، والآن جاهلين غرّين ، يريدون يسلبوننا أمـرنا بخطوط بجدران ، فعند ذلك حصل الاختلاف وكثرت الضجة ، وتوقف الأمر ، مع انه ليس بالقوي قبل .

أما عبد الله وعُبيد فأبيا أن يرجعوا لأهلهم ، فعند ذلك أتى رجل من المدينـة من أهل حايل يسمى العريفي فقال لعبد الله : يا عبد الله أنا وجدت باشا بالمدينة يريد الخروج الى نجد ويسأل عن رجل كامل الصفات من أهل الجبل ، يريد أن يوليه بعض أمره ، واني وصفتكم له ، وعندي من اليقين انكم إذا جاءه أحدكم أن يصير له شأن ، فقام عبد الله عند ذلك فقال : اللهم ان كنت تعلم أن مسيري اليه أريد علواً أو فساداً في الأرض انك لا تلحقني ما تمنيت ، فان كنت أريد الاستقرار والأمان في بلاد أبي وجدّي ومُنعت من ذلك ، واخرجوا حرمي كأني سارق ، انك تأخذ بثأري وتقيل عثاري .

فعند ذلك ركب وتوجه إلى المدينة ، فلما وصل إلى الباشا اكرمه اكراماً زائداً ، أما عبيد فكان تلجلج وبينه وبين أخواله خبريات .

أما صالح فلما بلغه أن عبد الله توجه إلى العسكر ركب وتوجه يريد العراق ، فلما مشى من البلاد يوم نزل عند بعض البادية من شمّر من الذين يودّونه ، فقالوا له : إلى أين ؟ فقال: إني أريد العراق لأجي في عسكر من العراق واسحق هذه الطائفة الذي يطلبون اموزهم الأولية وشقهم العصا ، قال له : تبّتْ يداك ، أنما العسكر لم يجي من العراق إلا في وزنه فلوس ، ولكن أرجع ورُحْ للعسكر الذي في المدينة الذي قد عزم على الخروج إلى نجد ، فتعطيهم بعض الذي تريد أن تعطي أهل العراق وتجسّ لهم الدرب وتعدهم انك تمشي معهم، فعند ذلك ربما تنجح المسألة .

أما ابن حميّان رئيس أخوال عبيد ، فهو سيّر رجلاً مع صالح خفية يوجهه أين يسير ، وقد كان الرجل يسمع جواب صالح والرجل الذي يجاوبه وانه عزم على الرجوع الى المدينة، فرجع العين إلى قرية قربة وأهلها كلهم ممن يتبع ابن حميّان ، فلما أخبرهم قالوا له : اكتم الخبر .

فلما أصبح صالح رجع وجدّ السير وجنّب حائل . صاحب القرية أمر على واحد من أولاده وقال : انت رح إلى عبيد وان ما لقيته أعطه الكتاب هذا ، ولكن العجلة ، وقد كانت القرية تبعد عن حايل مسافة أربعة عشر ساعة .

فعند الصباح سار الرجل ، فلما كان نصف الليل إذا يقدم وإذا عبيد عند أخواله ، فلـــما أعطاه المكتوب قالوا : ما الرأي ؟ فجعلوا يجيلون الرأي إلى أن قال واحد منهم : عندي الرأي أن نركب معاويدنا ونسير إلى أن نلحق بصالح، وفي المكان الذي نتمكن عليه لو ما يكون إلا في حد المدينة نقتله فنستريح .

فعند ذلك ركبوا قبل الصباح وساروا يومهم وثاني يوم ، فلما جاءت الليلة الثانيـــة وإذا هم على قرية من قرى الجبل ونوّخوا ركائبهم وراحوا منهم رجلين يتجسسون الأخبار ، فلما قربوا إذا هم بحُرمة قد ظهرت ومعها إناء فيه طعام وقد كان بعد المغرب ، فقالوا لها : من أين أتيت ؟ فقالت : انني أتيت من آل فلان ، لأن عندهم ضيافـــة للشيوخ صالح وأصحابه ، فقالوا لها : كم هم ؟ فقالت : ثلاثون ، إن زادوا فقليل ، فقالوا : أين مكانهـــم ؟ فقالت : هذه دارهم الذي مقابلتكم ، فقالوا لها : هيا واسكتي ، فمشت معهم ولم ترتب، لأنها تدري أنهـــم من جنسها ولم ينالوها بسوء ، فلما أقبلت ورأت الجماعة جلوس والركاب بروك ، قالت : أفيكم عبيد ؟ قالوا : نعم . قالت : إني دريت بعد السؤال أن ما جبتوني إلا لأمر ، فقدمت الطعام لهم وقالت : أنا أعتذر اليكم لأن لي رجل نحيس وعندي طفل ، وكأني به إذا صاح الطفل أتى يدعوني ، ولا آمنه أن اختبر فيكم أن ينذر عليكم ، وأنا الآن أروح لولدي ، وأنتم هذا دربكم ، وهذا مكان البيت ،

وهذه جهة الباب ، وهذه جهة الديوانية ، فعرفتهم بجميع ما يحتاجون اليه ، وقد كانت من أخوال عبيد متزوجة في هذه القرية ، فلما أخبرتهم بهذا الاسم وانتسبت لهم . قال عبيد : خلوا سراحها وخذي زادك ، فعند ذلك امتنعت ، فأقسموا عليها فأخذته .

فلما كانت الساعة خمس من الليل عربي مشوا عليهم وهم في القهوة ، وكان الجدار ليس بالطويل ، أرادوا وإذا الباب مغلق ، فتسوروا الحائط وقد كانوا نائمين ومتفرقين وليس عندهم ضوء ولا سراج .

فعند ذلك اعتزى عبيد بأخته (نورة) وهي إلى الآن هي عزوة العائلة الرشيدية . فقال : ما هذا فعل الرجل الذي يكلف النسوان الخروج من بلدهم في القيظ ، انه يرقد ، وهو يذكرني وراه . فلما انتبهوا أطلقوا عليهم أصحاب عبيد الرصاص ، وقتل صالح ورجل من أقرباه لا غير أما الباقون فهربوا ولم يطلبوا .

فلما أصبح عبيد نادى لهم بالأمان ، واتاه منهم بعض ، وهرب بعض ، وفي جملة من هـرب رجل من العائلة يسمى عيسى بن عبيد الله .

عند ذلك رجـــع عبيد إلى الجبل ، وقد كانوا عائلة الرئيس المذكور ، ومن يرى رأيهم ويخاف عبيد ، قد انحصروا لما جاءهم الخبر في القصر ، فعند ذلك أمهلوهم وأمنوهم ولم يقبلوا ، وقد كان القصر ليس بمنحاز ، انما بداخله بيوت من

بيوت الأهالي ، فمشى عبيد وأخواله وغالب أهل البلاد عليهم ليلاً ، فتسوروا عليهم وأخذوهم من غير تلف ، ولم يقتل من الطرفين إلا رجل واحد من المحصورين من العائلة .

أما عبد الله فقد أمر عليه الباشا أنه يخرج في عسكر ليحصل له ابل والعسكر الذي معه ١٥٠ خيالاً ، فأغار على عرب من عنزة ، فأخذوا منهم مقدار اربعمئة بعير ، فلما انقلب وإذا عرب في وجهه ، فأرسلوا له وقالوا : ما حاجتك إنا لا نريد القتال ؟ . وقال : حاجتي ابل للعسكر . وقالوا : خذ ما تشاء ودع ما تشاء . فعند ذلك أخذ منهم الف بعير . لأنهم عرب كثير .

وفي هذه يقول شاعر عَنزَة ، وكان الموضع الذي أخذ فيه عبد الله الابل من العرب يسمى (غُنيم) جبل مقابل لتيماء القرية المشهورة قال :

يوم ٍ جرَى فِي غْنَيْم ، من شَدْهَة البَالْ
والِّي يعرْفَ الزوْد عافَ الطَّعام ِ
من واحدٍ يَقْلُط لَنَا تِقِلْ نَزَّالْ
دون السموكْ بجـــدّ نقرة ردام ِ
يَأْمرْ علينــــا تامٌ كل ما قالْ
يبغي الجَمَلْ ، ولا رُدُومَ السَّنام ِ

وباخذ من الخلفات مع عرب الآجهال

ويا خذ ركاب مثل وصف النظام

فان كان عقب الحال ذي ما بدا حال

نش اللحم والجز وصل العظام

لدعو على (خيبر) ولهلها بالامحال

تاخذ عـــن البارق ثمانين عام

اللي ينظم زلمهم بين رجال

وهم كثر سيلان الجراد التهامي

وأقوالهم في ذلك كثيرة .

فلما استقر عبيد في حايل أرسل الى أخيه يبشروه بالذي صار .. فلما ورد البشير إلى عبد الله أرسل الابل إلى الباشا مع العسكر وجاء رأساً. فلما ورد قرية قال لها (المستجدة) على طريق الحاج من الجبل. تبعد من حايل ثلاثة عشر ساعة . أخبروه ان عبيد حابس من أهل حايل مئة وعشرين رجل ، ممن كانوا من ذاك الجانب . فعند ذلك ركب فرسه وأغار إلى البلاد . وقال : عساي امكنه قبل أن يقتل منهم أحد . فلما قدم أمر عبيد باطلاق سراحهم كلهم .

وقد كان عبد الله شجاع حليم كريم . واما عبيد فهو لم

يقصر عنه فيما ذكرنا . فقط انه أزود سياسة [1] ودهاءً . وهم مشهورون .

فعند ذلك كتبوا إلى فيصل بالخبر على صفة ما جرى . وقال فيصل : فيكم البركة ان شاء الله . وأنا قالوا لي أنه ما يستقيم الأمر إلا بقتل ، ولكن أبوا الى الله اني اقول انه حق . فأما أنتم فلا تعدُّون أنفسكم إلا مثل أولادي .

أما الباشا فطلب عبيد. وقد ذكرنا سابقاً اجتماع عبيد معه (الباشا هو خورشيد) . استقاموا على ذلك ثلاث سنين .

أما عيسى بن عُبَيد الله فهو لما انقلب (خورشيد) بأمر من محمد علي المصري . وكان الرئيس علي بعد اسماعيل طلب منه عيسى عسكر فأعطاه مقدار خمساية نفر . فيهم مئتان (سواري) وأتى بهم الى الجبل .

فلما أحسوا فيه أصحابهم الأقدمين من أهل الجبل تلقوه ، فعند ذلك قال عبد الله : ان المسألة تجرُّ على تلاف اهل الجبل إذا حاربوا العسكر : ولكن أنا أقول اني لم احاربهم ، وإذا عيسى أراد الملك فهو هذا ويملك ، وأنا أسلّم عليكم .

فعند ذلك خرج هو وأهله ، فأتى عيسى ونزل الجبل وامتنع عليه بعض أهل قرية تبعد عن حايل ساعتين ونصف تسمى (قُفار) .

---

(١) يقول الأستاذ فهد : عبد الله يفضل عبيداً عقلا وورعاً وقيادة ، ولو لم يكن عبد الله لما عرف عُبيد ، ويلاحظ أن (ضاريا) من سلالة عبيد . ا هـ ،

وأما أهل حايل فقالوا له : انا لما سمعنا بقدومك أجلينا عبد الله ، وهي سياسة لئلا ينال أحداً منهم مكروه ، وعند عبد اللهمعلوم ان العسكر إذا استقاموا مقدار عشرة أيام صار منهم بعض الحركة على أهل حايل ، وان أهل حايل ما يصبرون وان العسكر يمل ويمشي ، وان عيسى ما يقعد بعد العسكر ، وكانت المسألة هكذا .

أما عبيد فهو لما نزل عيسى والعسكر على (قفار) لمحاربة بعض أهل القرية المسمين بآل عبادن ، وذلك ان عيسى لما قدم الجبل أمر على العسكر اننا نسير بطلب عبدالله ، فساروا معه أهل الجبل مقدار يومين ، وأما المذكورين فلم يسيروا ، لأن فيهم رئيسهم المسمى حُميّد رجل عاقل وقال: لمن تفزعون؟ أما ابن الرشيد وأما ابن عبيدالله ، ونحن رعية نأكل من قرّينا (نوع من التين) ونشرب من جوابينا ، ونقتل الذي في ظلم يأتينا ..

فلما قفل عيسى راجع أعلن حربهم ، واعتصموا لأن بينهم وبين أخوال عبيد عقد بالسابق .

رجع عبيد ودخل القرية خفية على ظهر فرسه ، وقال لأخيه : أمكث عند أهلك في هذا الموضع إلى أن يأتيك مني خبر .

فلما دخل الليل أتى الى الرئيس المذكور وقال: انما جئت لأن ما عندكم خيل كثيرة تطارد خيل العسكر ، وأنا ودّي في مطاردتهم على فرسي وعساني أشوف عيسى راكب ارميه ، فأكرمه وخرج به وأخفاه ، وأرسل للجماعة - وهكذا يفعلون

يإذا أتاهم أمر حادث – فلما اجتمعوا قال : ما تقولون في عبيد لو نرسل له يطارد هذا العسكر مع ما تدرون انه من أحسن رُماة أهل حايل بالتفك[1] . فالبعض قالوا : لا نريده ، والبعض سكتوا وقالوا : إذا أرسلنا له كانت منّة منه ونحن في غنى لأن ما هم مكلفينا .

فلما أصبحوا ولم يتفرقوا قال : اخرج يا الذي في المخزن ، والمخزن بيت في القهوة ، يكون فيه آلة القهوة ، فخرج وإذا هو عبيد يعرفونه ، فارتاعوا الذين قالوا : لا نريده ، فقال لهم رئيسهم : لا يخرج أحـــد إلا معاهداً عبيد على السمع والطاعة ، رضي من رضي ، وغضب من غضب ، فعاهدوه .

فلما أصبح العسكر وإذا يجانبهم سوق من أسواق القرية ، وإذا القرية محلات ، وكل قبيلة تنسب اليهم محلتهم .

عبثوا – أي العسكر – في أهل سوق من الذين مسالمينهم ، فصار بينهم بعض اللجاج ، فقتلوا من أهل السوق خمسة أنفار وقطعوا رؤوسهم وراحوا بهم إلى الباشا ، فعند ذلك انحازوا أهل هذا السوق مع المعادين للعسكر .

أما عبيد فلما ترجلت الشمس ظهر على فرسه ومعه بندقه ، وإذا أهل حِصْن (جمع حصان ، خيّالة) من العسكر توافق معهم ، فأطلق عليهم التفك عدة رصاص فقتل من خيلهم ثلاثة ، وضرب طربوش واحد وشاله عن رأسه ، فارتاعوا لذلك .

---

(١) هي البندقية .

فلما كان العصر راوحهم وقد أتى واحد من ضباطهم مع الخيل لينظر اليه ، فلما قرب منه رماه عبيد فقتل حصانه ، فانتزع اللجام ورماه إلى عبيد وقال : خذه لانك أهل له ، فأخذه عبيده وترك سبيل الضابط ، والعنان موجود الى الآن في الجبل ، يسمى عنان حصان الضابط .

فلم يلبثوا إلا أياماً قلائل فرجعوا الى حايل وتبعوهم اهل القرية وارجفوا فيهم ، وقاموا أهـل حايل إذا تطرفوا في واحد منهم قتلوه غيلة حتى يقال مات ، فلما رأوا العسكر هذا الامر رحلوا رحلة اخت الهزيمة ، وعيسى معهم .

ورجع عبدالله واستتب له الامر ، وهو الى الآن باق أمر الجبل في العائلة الرشيدية .

وأما عيسى فلم يلبث ان هلك في الاحسا .

وبعد ذلك تزوج عبيد ابنته – أي ابنة عيسى – وجاءت منه بولدين وبنتين [1] ، اسماؤهم : فهيد ، وسليمان .

أما سليمان فلم يخلف .

وأما فهيد فهو أبو ضاري : الذي قدم على الشيخ عبد الرحمن في سنة ١٣٣١ في بمبي .

أما عبد الله فملك اثني عشر سنة وتوفي رحمه الله ، وقد خلف ثلاثة أولاد : أكبرهم اسمه طلال ، والثاني اسمه متعب ، والثالث محمد .

---

(١) ولعبيد أبناء آخرون من زوجة أخرى .

طلال بن عبد الله الرشيد

فلما توفي وإذا ابنه طلال ابن خمسة وعشرين سنة ، فأتى به عمه عبيد وأخرجه إلى المجلس وجمع أهل حايل وقال : قوموا فعاهدوا أميركم، وقد كانوا يظنون أن عبيد يتولى الأمر بعد أخيه ، فلم يفعل .

وعلى وقت طلال اتسع ملكهم وأخصب الجبل ، وبانت زيادتهم في كل حال .

وقعة بقعا بين ابن رشيد وأهل القصيم

أما عبد الله في زمنه فكان بينه وبين أهل القصيم جناحة، حتى انهم غزوا عليه في بلاده ، ونزلوا قرية تسمى[1] (بقعا) ، تبعد عن حايل مسافة أربعة عشر ساعة ، وهي القرية التي أرسل منها العين على صالح ، وكان من رئيسهم - أعني أهل القصيم - عبد العزيز بن محمد المذكور سابقاً انه قُتِل في بعض مغازي عبد الله بن فيصل عليهم ، ورئيس أهل عنزة يسمى يحيى بن سُليم قُتِل ذلك اليوم ، فعند ذلك سار اليهم عبدالله وأخوه في جنودهم من الحاضرة والبادية ، فالتقوا في المكان

---

(١) وقعة (بقعا) كانت في جمادى الأولى سنة ١٢٥٧ وكان حاكم الرياض خالد بن سعود .

المذكور وانكشفت الهزيمة عن قتل أهل القصيم ، وفي ذلك قصائد عديدة منها قول عبيد :

قصيدة عبيد بن رشيد في وقعة بقعاء

يا مِن لَّقلبٍ بين خمسة وعشرين
هجْس وهاجوسٍ ، وعَدْلٍ ومايلْ
يِديْر في دُولاب الأَفْكارْ تسعينْ
بالصَّدِرْ ينثر دِقّهنَ والجلايِلْ
أَصبحت منهم خالي غير ثنتين
سِعْدي[1] ومَصقْولٍ يُداوي الغلايلْ
وخماسيٍ[2] غمْقٍ صوابُهْ وجوزين[3]
ألْيا كرّبوا[4] شِحْص المهار الأَصايلْ

---

(١) سعدي اسم فرسه (ص) .
(٢) الخماسي : البندقية (ص). عمق : غائر . صوابه : مضرب رصاصته.
(٣) الجوزين : المسدس (ص) .
(٤) ليا : اذا (ص) .

يا دارنا من جاكِ جيناه عَجْلين

بالليل نسري، والصَّفَرْ [1] والقوايلْ

فان كان هُمْ عنّـــا بالانشاد مِخفين

من الناس ما نحتاج دوّ الرسليلْ

ناقه مع أول سِرْبَتِه فوق الألفين

كنّا اشْهو به ديدحانْ [2] المسايلْ

حضر الجبل ، والبدو ، تالي صليبين

يَتلِتّنا جَمْـــلاتْ سود الجدايلْ

جينا صباحْ وْهُمْ لنا مستكِينين

وثار الدّخْ من حَرّ صَلو الفتايلْ

حصلْ لنا عقب المواكل وفا الدين

وراعي السّلْف ردّتْ عليه الجمايلْ

---

(١) الصفر : جمع صفرة ، وهي أول النهار ، وأول الليل . والقوايل : جمع قائلة ، وسط النهار .

(٢) الديدحان : نبت نوره أصفر (ص) .

من فضل والي العرش عدْل الموازين
صارت على اقصْمانَ ووْلادْ وايلْ [1]

عجاجةٍ تجلي صدا القلب يا حسين [2]
دِبيْلةٍ [3] مـــا هي بكل الدبايلْ

كم ميمر [4] راجوا عليه الغلامين
خلّوا دماغه عـــن عَلَابِيهْ مايلْ

رَبْعِي مروّيّة السيوف المسانين
خلّوا صفا (بَقْعَا) من الدم سايلْ

والّلي ذِبَحتْ بْشَذْرة السيْف تسعين
منهـــم ، ولاني عَنْ طرَدْهم بْسايلْ

---

(١) أولاد وائل : عنزة (ص)
(٢) حسين : صديق للشاعر (ص) .
(٣) الدبيلة الهزيمة : (ص) .
(٤) مُيمّر : مؤمَّر أي أمير . راجوا : ماجوا . العلابي : جمع علباء، مؤخرة الرأس (ص) .

واللّي وطينا ما يشوف المحبين

والكِذْبْ تَنْفاه العلومَ الصمايلْ[1]

جَوْنا يبون ديارنا والبساتين

يبغون منزلهم (قفارٍ) و (حايلْ)

واليوم يبغونا وحنّا معَيّين

نِسْنِدْ بحد السيف من جاء عايلْ

ونكّس على ربعه بشرّ (الفرامين)

فيدة عماهم[2] تايهين الدلايلْ

يصيحْ مثل البارحة ما هناثين

ولا حصل له غير قطع الوصايلْ

---

(١) الصمايل : الصحيحة ، واحدها (صمْل) أي ثابت .

(٢) إشارة الى حكاية الأعمى الذي مر بمنزلة فأنالته ، وعاد في الليلة الثانية ينادي مثل البارحة وخافت المرأة الفضيحة فأخذته من يده الى شفا بئر وألقته فيها (ص) .

يقول جدّهْ ، يومْ صَوْلَةْ هَلِ الدِّينْ

قادوه عَلَيْـــهْ ذاهبين الحمايلْ [1]

---

(١) اشارة الى (....) التي دخل حجيلان من أمراء السعود الذي يقول شاعرهم — أعني عنيزة — :

واديرتي خذها حجيلان وسعود

... ...

هذا من حاشية الأصل . والمقصود حجيلان بن حمد آل ابو عليّان من العناقر من بني تميم ، رئيس بلدة (بريدة) ويصفه الشيخ ابن عيسى بأنه من أشدّ الناس حميَّة لأهل القصيم ، وهذه صفة ثناء ، وله مقام محمود في مؤازرة الدعوة السلفية، ومناصرة أنصارها من آل سعود [انظر حوادث سنة ١١٩٦ في تاريخي ابن بشر وابن عيسى] ولهذا لما استولى ابراهيم باشا على الدرعية سنة ١٢٣٣ ، وعاد الى مصر سنة ١٢٣٤ ﻫ كان ممن القي عليه القبض ، فمات في المدينة ، وقد تجاوز ثمانين عاماً .

وكان بين حجيلان وبين امراء عُنيزة في ذلك العهد ، وهم آل رشيد — وهم من آل فضل من سُبيع — بينهم خلاف ، وكان الأمير في ذلك العهد عبد الله بن رشيد (انظر بيان سببه في قصيدة الاستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي « العُنَـيزيّة ») .

وقد عُـزل الأمير عبد الله بن رشيد سنة ١٢٠٢ ﻫ ولم يسمح له بمغادرة الدِّرعيَّة ، وولي مكانه أميرا عبد الله بن يحيى أبا الشحم ، بعد أن دخل سعود بن عبد العزيز ومعه حجيلان عنيزة ، عَنَـْوَة ، والبيت المذكور في الحاشية لمولى من موالي الأمــير عبد الله بن رَشيد يدعى (العرْف) — (وانظر طرناً يتعلق به في القصيدة « العُنَـيزية » صفحة ١٥) .

وقد اضطررنا الى حذف عجز البيت ، لعدم مناسبة ذكره .

أغراه بالمكحول خرط الفراقين

وعرضاتْهم بمشورفات النثايلْ[1]

أطاع حكْيِ الذايدي والسلاطين

وقَبْلُهْ لويْبَانٍ رمى بالحبايلْ

ناسٍ يَبُون العز منهم ذليلين

ويْشْ قال مشعالٍ[2] بهم بالأوايلْ

اللّي وَفَا حق الديار الهزازين[3]

وحنَّا إلْيَاعدّت علوم القبايلْ

ربْعٍ على حرب المعادي ضريرين

ومن مِقْدِمٍ[4] كسّابة للنفايلْ

---

(١) النثيلة : التراب الذى يُخرج من البئر عند حفرها (ص) .

(٢) وقول مشعال : الله يسود وجهكم الخ ، وهي مشهورة . (ص)

(٣) يشير الى حادثة العسكر ، عسكر اسماعيل ، الذي قتلهم الهزاني وأهل الحوطة وأخذ أطوابهم الباقية الآن في حايل كانت عند السعود ، فلما استولى محمد الرشيد نقلها الى عاصمته (ص) .

(٤) مقدم : أي من قديم . (ص)

عندي له اللّي يلبسون التوامين[1]

إِلْيَا جذّبُوا شَرْوى بْروك المخايلْ

يَتلُونْ رِيفَ الضيفْ عيدَ المساكين

الشيخ أَبو متعب[2] عزيز النزايلْ

إِلْيَا[3] بَغَا امْرٍ ما يصيع المشيرين

الْحَيْدْ شيَّال الْحُمــول الثقايلْ

إِلْيَا سلِمْ راسه فحنّــا عزيزين

ارجيه من معطي العطايا الجزايلْ

وصلوا على قنديل سكنى الحجازين

راعي المقام المعتلي والوسايلْ

مني عدد ما يشمع اللبْنْ بالطين

أَو ما لبيت الله تشد الرحايلْ

---

(١) التومان : سروال الجوخ . (ص)

(٢) أبو متعب هو عبد الله بن رشيد ، أخو عبيد .

(٣) اليا : اذا (ص) . الحيد : الجبل القوي .

فلما رجـع رئيس القصيم ركب عبد الله [1] الى فيصل ، وأخبره بالمسألة ، فقـال له فيصل : الذي مضى مضى ، وهم

---

(١) وقعة « بقعاء » حدثت في جمادى الأولى سنة ١٢٥٧ – قبل عهد عبد الله الفيصل ، في عهد امارة خالد بن سعود على نجد ، من قبل (خرشيد باشا) .

ويحسن أن نورد خبر الوقعة ، مفصلا – نقلاً عن تاريخ ابن بشر ، الذي عاصر ذلك العهد ، وعلى كلامه المعول :

ذكر ابن بشر أن من أسباب تلك الوقعة :

١ – قال في حوادث سنة ١٢٥٤ – في الكلام على وصول (خرشيد باشا) غازياً بلاد نجد :

لبث (خورشيد) في عنيزة خمسة أشهر ، وفي مدة مقامه فيها رفد عليه عبد الله بن علي بن رشيد ، رئيس جبل شمر ، فأعطاه الباشا وكساه ، واكرمه ، فلما رحل من عنده نزل في الموضع المعروف بالبصيري فأرسل رجالاً من أعوانه على ثلاث ركائب الى بريدة وكان فيها رجل هارب عنه من أهل الجبل خوفاً منه ، لأنه من أعوان آل علي ، فدخل عليه منهم ثلاثة رجال ، وقرعوا عليه الباب ، فخرج اليهم ، فأمسكوه ، فصاح ولد له صغير ، ففزع عليهم أهل البلد ، وقتلوا منهم رجلين ، واخذوا ركائبهم ، وامسكوا منهم رجلاً فاخبرهم بالأمر ، فنهضوا اليهم فوجدوهم في غفلة ، فبغتوهم بين المغرب والعشاء ، ومع عبد الله بن رشيد نحو خمس واربعين مطية ، وشيء كثير من اللباس والسلاح ، فاخذوهم وما معهم ، وقتلوا منهم ستة رجال ، وهرب عبد الله على ظهر فرسه الى الباشا فكساه وأعطاه ثم رجع الى بلده) .

٢ – وقال – في حوادث سنة ست وخمسين ومائتين والف : في الكلام على خالد بن سعود : (ثم قصد الرياض فلما وصل شقراء وافاه أمير الجبل عبد الله بن رشيد ، وافداً عليه ومعه أكثر من مئتي مطية من أهل الجبل ، وسار معه الى الرياض ، ثم قدم عليه بعده أمير بريدة عبد العزيز بن محمد ، فحصل بينه وبينأمير الجبل نزاع، من أجل ابل أخذها ابن رشيدلأهل ←

باغين عليكم ونصركم الله عليهم ، الآن ما لأحد رخصـة منكم يتعرض الثاني ، وقال عبد الله : نحن ما نريد إلا السكينة ،

← بريدة ، وما وقع من عبد العزيز عليه من الأخذ لما رجع من عند الباشا في عنيزة – كما تقدم – ثم ان كلا منهما رجع الى بلده) .

وقال في ذكر حوادث سنة سبع وخمسين ومائتين والف :

(وفي جمادى الأولى منها جرت الواقعة العظمى والحادثة الكبرى ، بين أهل القصيم واتباعهم من عربان عنزة ، وبين عبد الله بن علي بن رشيد واتباعه من عربان شمر وحرب . وذلك لما رحل عبد العزيز أمير بريدة وعبد الله بن رشيد من الرياض ، وكل قصد بلده كما سبق أغار غازي بن ضبيان رئيس الدهامشة من عنزة ، على ابن طوالة من شمر : فأخذهم ومعهم ابل كثيرة ، لأهل الجبل ، وكان غازي هذا من اتباع أهل القصيم ، فأغار عبد الله بن رشيد على غازي وعربانه فأخذ منهـم ابلا كثيرة فغضب لهم أمير بريدة وانتدب لحرب ابن رشيد . وكان أهل القصيم متعاقدين على حرب كل عدو يقصدهم بعداوة ، واجمعوا على حرب ابن رشيد ، فركب يحيى بن سليمان بجنود كثيرة ، من أهل عنيزة واتباعهم ، وركب عبد العزيز بأهل بريدة وجميع بلدان القصيم واجتمعوا على (بقعا) نحو ستماية مطية مردوفات ، ومعهم : غازي بن ضبيان وأتباعه من عنزة ، وقاعد بن مجلاد وعربانه من عنزة وابن صبر من السلاطين ، والصقور من عنزة ، وسار الجميع مـن (بقيعا) فأغاروا على وجمان الرأس من شمر فاخذوا منهم أموالاً كثيرة من الابل والغنم والأثاث ، وقال يحيى لعبد العزيز : دعنا نرجع على هذا العز والنصر فحلف انه لا يرجع حتى يقاتل ابن رشيد في بلده حائل ، فساروا الى الجبل ، ونزلوا (بقعا) المعروفة في جبل شمر ، فخرج اليهم أهلها فامسكوهم عندهم . ونزلت عربان عنزة على (ساعدة) الماء المعروف عند (بقعا) فلما علم بذلك عبد الله بن رشيد أمر على أخيه عبيد وفرسان معه أن يغيروا على عربان عنزة في ساعدة فشنوا عليهم الغارة قبل الفجر فحصل قتال عظيم بينهـم ، فمرة يهزمونهم العربان ، ومرة يهزمهم عبيد ←

لأن ما وراهم لنا فايدة ، ونحن وهم ولاية الله ثم لك .

← واتباعه،هذا ويحيى وعبدالعزيز في شوكة أهل القصيم في (بقعا) ينتظرون الغارة الى طلوع الشمس ، فلما لم يأتهم أحد ، والقتال والجلاد راكد على أصحابهم ، فزع يحيى بخفيف الرجال وأهل الشجاعة على أرجلهم مشاة . فلما وصلوا فاذا عبد الله بن رشيد ومعه باقي جنوده قد ورد عليهم في ساقة أخيه ، فانهزم عربان أهل القصيم لا يلوي أحد على أحد وتبعتهم خيول شمر يأخذون من الابل والأغنام وتركوا يحيى بن سليمان ومن معه في مكانهم ، لا ماء معهم ولا ركاب . فلما رأى عبد العزيز ومن معه ذلك انهزموا وركبوا ركائب يحيى ومن معه وتركوهم ، ثم وقع القتال بين يحيى وبين ابن رشيد وصبروا الى ارتفاع النهار ، فادركهم العطش وكانوا في جمرة القيظ ، فقتلهم ابن رشيد الا قليلهم ، واخذ يحيى رجل من شمر وأعطاه فرسه وقال انج عليها فقال : أوصلني الى عبد الله بن رشيد وانت صاحب الاحسان . وكان بينه وبين عبد الله صحبة قديمة فاوصله اياه ، وجلس عنده ، فدخل ولد لعبد الله عليه في خيمته وقال : ان عمي قتل . فأمر على يحيى وقتل صبراً ، وقتل من أهل القصيم جملة من رؤسائهم واعيانهم وتجارهم ، لأن عبد العزيز غصبهم على الخروج معه . وقتل من أهل بريدة أكثر من سبعين رجلاً منهم ولد لعبد العزيز ، وحمد بن عدوان وابن شايع . ومن أهل عنيزة نحو ثمانين رجلاً منهم أحمد بن فهيد الفضلي والأمير يحيى بن سليمان وأخوه وقيل ان الذي قتل من أهل القصيم في هذه الوقعة نحو ثلاثمائة رجل . واخذ ابن رشيد منهم كثيراً من الركاب والسلاح . وكان عبد الله أخو يحيى عند خالد في الرياض . فلما علم بذلك أقبل من الرياض وصار أميراً في عنيزة . ثم ان عبد العزيز لما وصل الى بريدة ركب رؤساء أهل القصيم وتشاوروا على المسير ثانياً فاجمع أمرهم انهم يجهزوا الرجال ويبذلوا الأموال في طلب ثأرهم ، فكتبوا الى جميع بلدان القصيم وقالوا النفير عام على الخاص والعام . وساروا بأتباعهم من عربان عنزة وغيرهم قاصدين الجبل ، وهم نحو أربعة آلاف رجل وذلك في ذي القعدة فلما وصلوا الى الكهفة رجعوا ولم يحصلوا على طائل) انتهى .

فعند ذلك كتب فيصل إلى أهل القصيم يوبّخهم وينهاهم عن فعل مثله ، والتعرض لطوارف ابن الرشيد ، وخطب من عبد الله ابنته المسماة (نورة) لابنه عبد الله ، فزوجه إياها [1] .

وانقلب عبد الله ابن الرشيد ، وكان القصيم في الدرب بين الجبل وبين الرياض . فلما أمرح (بات) عبد الله في قرية تسمى (البُصْرْ) من نواحي بُريدة ، وإذا هم أهل القصيم بالغين خبر أنه تزوج عبد الله بن فيصل ببنت عبد الله بن الرشيد فقالوا في أنفسهم : إذا أخذ بنت عبد الله صار معه

---

(١) يعلق الاستاذ فهد المارك قائلاً : عندما خطب عبد الله الفيصل (نورة) ابنة عبد الله بن رشيد ؛ وافق أبوها ، على أن يذهب عبد الله بن الامام فيصل الى حائل ، ويتم هناك الزواج ، فذهب الى حائل وتزوج فيها ، ثم حصل فراق بين الزوجين ، فخطب عبد الله بن فيصل (طريفة) ابنة عبيد بن رشيد ، فأجاب على أن يكون الزواج في مدينة حايل . ويحدثني سلمان بن رشدان – وقد عاصر تلك الحقبة من الزمن ، وشاهد كثيراً من أحداثها مشاهدة عيان – قال : ان من الأسباب التي أثارت حفيظة عبيد على ابن أخيه متعب الأمير الثالث من آل رشيد ان عبيداً قال لمتعب : عليك أن تذهب بنفسك إلى الرياض للامام ، لتدفع له زكاة بلادك ، كما كان يفعل أبوك عبد الله ، واخوك طلال . فرد عليه ابن أخيه قائلاً : انت يا عم ، اذهب بالنيابة عني ، كما ذهبت بابنتك ، فقال عبيد : ان ابنتي زوجتها ابن الامام الذي زوجه أبوك اختك من قبل . فرد عليه متعب : شتان بين زواج أختي بعبد الله الفيصل ، الذي جاء بنفسه وتزوجها ، وبين زواج ابنتك التي ذهبت بها أنت بنفسك . فكانت النتيجة أن حقد عبيد على ابن أخيه، وأعان أبناء طلال أخي متعب على قتله ، فكان أول قتيل من آل رشيد .

علينا في كل حال ، ولكن ما من إلا نعدّ لعبد الله رجاجيل يكونون في أطراف القصيم يكمنون من جهة الشمال والقبلة ، لأنه ما له ممرّ إلا على أحدى الجهتين .

فعندما بات في القرية المذكورة أتاه رجل إنسان ساكن في القرية ، وهو أصـــله شمّري ، وقال : يا عبد الله أنجُ بنفسك ، أنه في هذه القرية أناس يرصدونك منذ أيام ، وقد كان بايت عند رجل عاقل ، ويرجع نسبه إلى (شـَمـّر) ، فقال : أنا أدبـّر الحيلة ، ولم تكن القرية متصلة البنيان ، بل كان كل إنسان منزله في بستان منحاز عن صاحبه ، أمـــا الرجال الذين يرقبونه فهم قد كمنوا على الدرب المعتاد ، أما الرجل فلما قدم إلى عبد الله وأصحابه عشاهم ، قـــال لهم : شيلوا على ركابكم في سكينة ، ففعـلوا ، فعند ذلك أدخلهم البستان وقد كان واسع ، وقد أعد لهم باب من ظهرالبستان ، فقال لهم : ان الرجال قد كمنوا لكم بـذاك المكان وأنتم إذا خرجتم تعرفون الدرب ، ففعلوا ونجوا .

فعند ذلك أهل القصيم نهبوا صاحب المحـــل وضربوه ، وشاع الخبر ، وصارت الوحشة بين الطرفين ، فقام ابن ُسليم رئيس (ُعنيزَة) وأرسل له عبد معه اثني عشر خيـّـــال وركائب وقال : أغيروا على أطراف قرى الجبل ، فأغاروا على قرية تسمى (َسمِيرَا) ، فأخذوا معاويد [1] وبقر غير

---

(١) المعاويد : الابل السانية (ص) .

كثيرة . وزدّوا وأغاروا على قرية ُيقال لها (السبَعان)
وهي المذكورة بقول الجاهلي :

ألا يا ديار الحي بالسبعـــان
عفت حججٌ بعدي وهنَّ ثماني
قفار مرورات بها طرق القطا
ويمشي بها الجامان يعتركان
يثيران من سبح الغبـار عليهما
قميصين أسمالاً ويرتديان

أما ابن الرشيد فلما أتاه الخبر ، وإذا عنده جماعـة من شمَّر ، فقال : سوّد الله وجوهـــكم ، عبد يأتيكم من القصيم ويغير على أطراف قراكم ، أما لو أنه جمعٌ ما قلت لكم ولا لمتكم ولكن إنما هو شرذمة .

فعند ذلك استشاطوا غضباً ولم يكلموه فخرجوا من عنده. فلما قفلوا إلى أهلهم ركب منهم جماعات وتفرقوا .

أما العبد فهو لما عاد واستقام أياماً قلائل رجع وتصادف هو وإحدى الفِرَق الشمرية ورئيسهم اسمه معاهد . فقتلوا العبد وبعض أصحابه .

فلم يزل الشر يسعى بين أهل القصيم وأهل الجبل إلى أن أتتهم قافلة لشمر ، واخذوها . وعند ذلك كتب عبد الله بن الرشيد إلى فيصل يشكو عليه فعل أهل القصيم ، فعند ذلك كتب فيصل لعبد الله : اننـا نكفيك اياهم ، ويردون ما أخذوا ولو عقالاً .

وقد كان من العلوم عن عبدالله انه لم ينجح [إلا] لأن له أصدقاء في القصيم خفية ، ويعرّفونه فيما عقدوا عليه أهل القصيم من الشين والخبث . فأرسل لهم فيصل رجلين من خدامه ، واحد يسمى فرحان والثاني ابن سُبيت ، وقـــد كان ابن سُبيت صاحباً لعبد الله بن الرشيد ، فلما أتاهم ابن سبيت جعلوا يمنونه ، ويعدونه انهم يريدون يردون ما أخذوا ! واستقام عندهم ثلاثة أشهر وهم يماطلونه ، فلما أبطأ أرسل له عبدالله خط خفية . وقال : أخبرني بالحقيقة . فقال : الحقيقة انهم عاصون ، ولكنني بعد خمسة أيام أخرج من عندهـــم فاذا خرجت فأنت واياهم بصركم .

فعند ذلك استعد عبد الله للخروج اليهم ، فركب غازياً في شمَّر ، الحضر والبدو ، فلما وصلوا (السبْعان) المذكور ، قال له أخو عبيد ، وابنه طلال : نحن ما نريد انك تأتي معنا ، انما نحن نكفي .

فقال : أخاف انكم ما تقتلونهم . وقد كان حادّ الطبع ثم يهوّن .

فألزموه الرجوع ، وقال : إذا كنتم عازمين إني أرجع فأنتم إذا وصلتم حدود البلاد، اكمنوا، وارسلوا بركاب يغيرون على غنم أهل (ُعنيزة) لأنه من المعلوم إذا صارت غارة على السرح ان أهل البلاد ينفرون . ولم يكن عندهم — أي أهل القصيم — خيل إلا شيء قليل . ففعلوا ما أمرهم به وأرسلوا أهل عشرين ذلول وأغاروا وأخذوا غنم . فأتى الراعي يصيح.

فعند ذلك ظهروا ولم يألُ الأول للثاني وكان الوقت حاراً الصيف فلما وصلوا إلى مكان الغنم وكان يبعد عن البلاد مقدار ساعتين أو ساعة ونصف . فإذا هم قد تعبوا ولهم تالي. وقف الأول إلى أن لحق التالي . فمشوا مع أثر الغنم حتى انتهوا إلى قريب الكمين . فركبت خيل عبيد وطلال وأغارت عليهم وقتلوهم لأنهم ليسوا مستعدين لملاقات الجمع ولو كانوا جَمَّاً غفيراً . وعدة من ُقتل ذلك اليوم فيما يزعمون أربعماية وخمسين رَجُلاً . منهم رئيس البلد عبد الله بن ُسليم .

ورجعوا آل الرشيد وإذا الصقور منعنزة بينهم وبين أهل القصيم ميعاد ، إذا ظهر تم على ابن الرشيد اننا نساعدكم، فعند ذلك أغاروا عليهم عبيد وطلال وأخذوهم وجابوا منهم إبل وغنم وانقلبوا إلى أهلهم سالمين غانمين .

أما رجاجيل فيصل فهم خرجوا من البلاد الصبح، والوقعة صارت بعد الظهر ، فرجعوا إلى عنيزة ، لأنهم لم يستحسنوا انهم يصلون إلى فيصل بغير خبر ثابت ، فلما دخلوا القرية

فإذا هي كما قال عبيد بن الرشيد في بيت من قصيدة مشهورة :

دارٍ بضرّ البين ينعى غرابَهْ

فلما وصلوا إلى فيصل غضب وقال : هذا شيء ما يجوز قتل المسلمين لأجل بعير وأشباهه .

أما عبد الله وعبيد فقد كانوا يتوقعون من فيصل الغضب ، لانهم يعرفون ورعه وديانته ، وأرسلوا له رسل وكتب معهم عبد الله خطوط وكتب قصيدته المشهورة :

الحمد للباري فزَعْ من شَكا لهْ

والحمد له ، ثاني على كل الاحوالْ

والحمد له ثالث بقدرة فعاله

حمدٍ كثيرٍ عِدّ ما قايلٍ قالْ

أو عدّ ما فوق الوطا من رمالهْ

أو ساح ظلّ في العوالي والاسهالْ

أو عدّ ما ترمي لواقحْ[1] خْياله

سحٍّ وتكابٍ وديمٍ وهمّالْ

---

(١) لواقح : أي السحب (ص) .

كل الثنا والشكر له والجـــلالةْ

سبحان من هو كل ما راد فعّالْ

رب السما رزق الملا من نواله

محيي الهشيم الميّت الدارس البالْ

مولاي عازل شمسها عـــن ظلاله

سيدي ومسنادي إلْيَاضَكَّنَ الحالْ

كم ضيقةٍ من منَّتـــه جَتْ وزالَهْ

وراده بعز ما هقيناه بالبـــالْ

والحمد لله مـــا كرهنا لْقَالَهْ

الا تصير عقوبتـه عزّ وإقبالْ

ومن قال ذا فعلي فهو من هباله

الله معاوني ّ على من عليْ عالْ

وخلافْ ذا يأمن يودّي الرساله

في صفح مصقول عليه القلم سالْ

سلام من مَنَّهّ على الشوف واله

ومشاهد اللي للثقيلات حمَّـــالْ

سَلّم عليـه ولا تَقُلْ له مقاله

إلّا انْ كان انه عنّي نشد وسالْ

وقال اخبرِنْ عن صاحبي كيف حاله

فْعَطْهَ الجواب اللي كتبنا والامثالْ

وَقُلْ له يَقُلْ لك يا خَلَفْ من غدا له

من الحيّ والميت من العم والخالْ

ركبوا على عوص النجايب رجاله

يبرا لهم (يابوسمي) كم خيالْ

وَجوْه الضحى يا شيخ ما هي نْطَالهْ (١)

وساروا لما رادوا على كل مشوالْ

هذاك حقّ اللي خطوطك عصالهْ

فرحان وابن سبيت ما القاهم البالْ

---

(١) أي سرقة .

يوم الخطوط أقفت وجتْ ما قرا لهْ
جاء المْقَرّيْ وألحق أولهم التالْ

ولا طاع يودي ركبنا مع جماله
من عقب ما كزّيت لهم كل مرسالْ

وْعَيّا يطيع اليّ بنصحٍ حكي له
وأزريت من كثر الشكاوي والارسال

عاداتْ فعل الزور باللّي مشى له
يرميه بالميدان من غير خيَّال

عادة حلاف الزور شِفْ وِشْ جرى له
يَا عُونْةَ اللّهْ ما منْ الحَيْ عفّالْ

البغي كم ناسٍ خلَتْ من رجاله
يا مَا هفا بالبغْيِ من ماضيَ الاجيال

زادوا وبادوا من هبَايِبْ شِماله
كلٍّ لِهَ اللّهْ ، يوم يُحْسَبْنَ الاعمال

يوم انهم عجزوا عني بالغياله [1]

شبوا لنار الحرب بالقيظ صُوّالْ

(١) ذكر الاستاذ فهد المارك في كتاب « شيم العرب »-ج ١ ص ١٧٤- أن أهل القصيم دبروا مؤامرة لاغتياله في سنة ١٢٥٩ ، واتفقوا مع رجل يدعى أبو هادي - ولكن ابن رشيد اطلع على ذلك وعفا عن أبي هادي الذي بقي ساكناً بحائل حتى توفي فيها قال : وأكد لي الراوي سلمان بن رشدان بأنه كان يعرف أبا هادي شخصياً ولا عجب من ذلك لأن سلمان بن رشدان عمر سنين طويلة وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٦١ هـ بعد ان بلغ من العمر ما ينوف على المائة سنة . والراوي من نفس بلدة حائل .

وقال في ذلك هذه القصيدة :

لي دِيرةٍ ما بَهْ حذا البَردْ والجوعْ
لَوْلايْ عفِّيتَهْ بِضَرْبِ الهَنادي
حميتهَا عَنْ كل دَوّار مَطْموع
حَيّ نُصَبِّحْهُم وحَيّ نْهادي
القَلب مَصْموعٍ وبالكَف قاطوع
ما هي حَكايَا رَقْصَتِكْ يا بُو هَادي
ولا حدْ يطيع إلا له السِّير مَرْوُعْ
والا بِضَرْب مْصَقّلات الهَنادي
فعّال نوّ الخيرْ نَجْزَاه بِنْفوع
منْ مَالنا نِكثر عَليه العدَادِ
والشّر فعّاله نِجَازيه بِجْموع
وزيرٍ إلى جا الفَجْر حُسّه ينادي
أخُو عبيْد إلى هَباكِل مَسْبوع
أسْهَر إلى نَامت عيون السَّرادِي ←

ومن شبَّ نارٍ حرَّقــــه باشتعاله

وصارت عقوبة فاعله ذلّ واذلالْ

إن كان ما شافوا وعافوا نُواله

وصاروا بقاياهم هذولاك جهّال

فالسيف للتــــايه اسناده حنا له

وندّل به من هو عن الجادّة مال

واليا كبا لونـه محشْنا صقاله

ولا هو من القلطات والضرب ملَّال

وعبيدٍ اللّي لا عـدمنا خيـاله

حطّه لهم مولاي نجمٍ وزلزال

← أَحاوْلَ الدّنْيا بِدَاخلْ وَمطْلوع
بِالمــــال وإلا مُرْهَفَاتَ الحدَادِ

كم خيِّرٍ عانٍ لنــــا شاكٍ الجُوع
حَادِيه مِن لوْعاتَ الأيَّامْ حادِي

لوْ مَا نَعرْفُه رَاح مِنّا بِمَطْمُوع
مِنْ راس مَالٍ نَجْمعُه لِلنّفَادِ

هـذي علوم ديارنا من صفـا له

مشروب ماه الا ْبقَصَّاف الآجال

الْيَا ما صفت بالسيف ما هي جماله

وثنَّيت للــرّثاع بالقيد وعقال

ولا نفـــوز إلا ونروي سلاله

من دم هامات العدى علّ وانهال

حق علينا الجار نرفا خمــاله

ونفزع لمن جانا من الضيم دّخال

وللضيف نقري حين تبركْ رحاله

ومن غير منَّه المحتري ما نهج خال

فان جا صديقٍ من عدوٍ صياله

رفيقنا نرخص له الحــال والمال

ويا مَنْ بنا سرحه وضايع حـلاله

ولا بات في قلبه من الخوف ولوال

ومن جا يريد الزين يعطى سواله

وعن عاني الله ما قطعنا الأوصال

والشرّ ندفع جانبه بالسهالة

ولانّي لتقريبه من الناس قبّال

فان كان هو ركب الرشا للمحاله

واستثقله ما أنا من الحرب ملال

اصبر كما تصبر رواسي جباله

ما تنهزع من وطي حافر ونعال

فان كان تبغي اليوم قصر الطواله

فاعزمْ ولا تنظرْ لراضٍ وزّعال

يمناي ما ترضى زوايد شماله

واعطي الحقوق أهل المعالي والأرذال

شهودي بْجِلدي، والعدو به بداله

والناس تدري بالجدايد والاسمال

أما فيصل فلما جاءه مراسيل عبد الله تكلم عليهم وقال : يقتل المسلمين بغير حق ، فلما انفض المجلس أعطاه رجال عبد الله المكتوب الذي فيه القصيدة، فعند ذلك رضي وقال: أهل القصيم لم يزالوا أهل بَغْي وطغيان .

فلم يلبث عبدالله بن الرشيد إلاّ سنين قلائل حتى مات[1]، وقد سبق الخبر .

وقد كان عبيد كل سنة يزور فيصل في الرياض ويستقيم عنده من الشهرين الى الثلاثة ، وقد غزا مع عبد الله بن فيصل عدة غزوات .

أما طلال فهو قدم الرياض في حياة أبيه حين سارت اخته نورة إلى عبد الله بن فيصل ..

أما أهل القصيم فلم يلبثوا أن نبذوا طاعة فيصل ، وغزاهم عبد الله ومعه عبيد وحصروهم اشهر ، وقد كان مع عبيد ابن أخيه محمد وهو صغير ، فلما طال الحصار وقد كان مع عبد الله مدافع ظنوا أهل عنيزة أنه مَلّ المقام وظهروا فاشتبك القتال، وكانت خيام عبد الله تبعد عن البلد مقدار ساعة ونصف أو أقل ، وتقهقروا جنود عبدالله إلى خيامهم وتبعهم أهل القصيم إلى أن وصلوا طرف الخيام ، حتى ان الاول من أهل القصيم شال من أثاث الخيام بعض الشيء ، فلما رأوا أن أهل القصيم وصلوهم ورؤساءهم – أعني عبدالله وعبيد – ردّوا: يا مسلمين.

---

(١) توفى في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٦٣ هـ .

فعند ذلك كرّوا ، وكان على المشهور عند من حضر من الطايفتين أن أول من كرّ محمد بن عبد الله بن الرشيد، وقتل من أهل عنيزة مقتلة وامتنعت البلاد ولم تدخل [١] .

أما طلال ابن الرشيد فهو قد أتى في شمّر والقوة الذي في الجبل لمساعدة عبد الله ، فلما أن وصلوا إذا الهزيمة منكشفة على أهل عنيزة .

أما أهل عنيزة لما علموا بقدوم طلال وجنوده ، قالوا : اننا لم نكن لندرك المدافعة دائماً لأننا محصورين ، وعبد الله يزيدون جنوده ، وكل البلاد له بلاد ، ولكن لعلنا أن نطلب المصالحة ، فأرسلوا وطلبوا الأمان ، وأعطاهم عبد الله الأمان، يتوجّه رؤساءهم خمسة رجاجيل للمواجهـــة وينعقد الصلح ، فعند ذلك تواجهوا وانعقد الصلح .

---

(١) يعلق الاستاذ فهد المارك على هذا قائلاً : الرواية التي تلقيتها من سلمان ابن رشدان ، الذي شاهد المعركة بين عبد الله الفيصل وبين أهل عنيزة ، فيقول : ان السبب الذي جعل أهل عنيزة يتراجعون ، بعدما هزموا جنود عبد الله الفيصل هو أن المطر نزل بكثرة ، ولمـــا كان سلاح أهل عنيزة « الفتيل » الذي يحتاج الى اشعال بالنار ليشتعل البارود فيدفع الرصاصة فقد انطفأت النار قبل أن تصل الى البارود من المطر ، وبطل مفعول سلاحهم ، فانتهز الفرصة المنهزمون ، وكروا على أهل عنيزة بسيوفهم ، بهجوم معاكس فهزموهم ، ولذلك يقول شاعر اهل عنيزة :

لوْلا الحِدَا فِعْلِكْ تَعَدَّيْت الخيامْ
مَارْ ربّ العرشْ مَدّكْ مِنْ سِماهْ

[مار : معناها لكن] .

وكان على أهل بريدة وقعـــة من عبد الله بن فيصل الذي ذكرنا سابقاً انه قتل فيهـــا رئيس بريدة عبد العزيز بن محمد وأولاده ولم تجتمع الوقعتان في سنة .

أما طلال ابن الرشيد فهو استقام أميراً على الجبل وعربانه اثنين وعشرين سنة ، وعبيد باقٍ .

ومات طلال — رحمه الله — وقد خلف أولاد أكبرهم بندر، وبدر ، وسلطان ، ومصلط ، ونايف ، وعبد الله ، ونهار .

وقام بالأمر من بعده أخوه متعب، واستقام سنة ونصف، وكان رجلاً شجاع ، ولكن انه لم يجر على السياسة التي هي تجمع الكلمة ، وذلك انه عنده وزير سوء ، حتى أنه أمره في التضييق على أولاد أخيه طلال ، حتى انه ضربهم — الوزير — في رضى متعب [1] .

فعند ذلك غضبوا وأتوا إلى عبيد وقالوا له ، وقال أقول لعمكم وأنتم وإياه من دوني هو محل والدكم ، وأنا شايب كبير ولا لي في هـــذه الأمور دخل ، فدخل عليه عبيد وقال : يا متعب ، ان هؤلاء ليسوا بالصغار يؤدبون تأديب الجاهل ، وأنت ترى انهم محتاجين إلى التأديب وهم يأنفون ، لأن بندر هذا معه أولاد وأنت تريد تضربه كما يضرب العبد أو الجاهل، وأنا أخاف عليك انك تحنقهم، ويبدر أمر عليك ما هو طيب،

---

(١) يقول الاستاذ فهد : أشك كثيراً في صحة القول بأن متعباً رضي بأن يضرب وزيره ابناء أخيه .

قال : إنما انت شايب خبل ، والله لو وجدوني ميت أن يقولوا نخاف انه نايم .

فعند ذلك قال عبيد [1] : كلكم عندي سواء ، وإنما قلت ما قلت لأجل السياسة واجتماع الكلمة وإلا انت وإياهم تختارون من دوني ، وقد جعلوا لهم خادم يتسمع لكلام متعب على

---

(١) علق الاستاذ فهد قائلاً : الراوي ضاري بن فهيد هو حفيد عبيد ، ولهذا أجد في روايته اضطراباً واختلافاً عن المعلومات التي نقلتها عن رواة شاهدوا الحادثة ، حادثة قتل ابناء طلال ، عمهم متعب ، فالرواة يؤكدون ان عبيداً له يد في اغتيال متعب ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها قصيدة بندر بن طلال – الذي تولى الامارة بعد مصرع متعب – فهو يقول فيها :

يَاللّيْ تِدِزُّونَ المَرَاسِيْلْ يَمّي
قُولوا : تَرَانِيْ بَيْنْ حَذْوَهْ وِسْمَارْ

اَطِعْتْ حَكْيَ المِقْنْدِيَّة ، بْعَمّي
يَعَلّ عبَيْدْ ، وشَيْبْتِهْ باسْفَلَ النّارْ

في البيت الأخير دليل واضح على ان عبيداً حرّض بندراً على قتل متعب ، بل الرواية الأكيدة لدي ، تفيد بأنه ساهم برسم خطة قتل متعب ، وهذا لا ينفي ما قاله ضاري بأن متعباً كان عنيفاً وبعيداً عن اللين والمجاملة لعمه عبيد ، واحفظ بيتاً من شعر عبيد يدعو فيه على متعب ، فيقول :

سِرْنَا مَعَ اللّيْ جِعِلْ ما يَرْمِقَ النّوْرْ
عساهْ باسْفلْ وادي ، مَعْ هَلَ النّارْ

هذا كلام الاستاذ فهد ، وهو يطابق ما ذكره ابن عيسى في ذيله على تاريخ ابن بشر فقال : (وفيها – يعني سنة ١٢٨٥ هـ – قتل متعب بن عبد الله بن علي بن رشيد امير الجبل ، قتله اولاد اخيه طلال بن عبد الله .. وما لأهم على قتله عمه عبيد بن علي بن رشيد) .

عبيد ، إذ نصحه ، وما يرد عليه عبيد ، وقد كان ذلك في الليل .

فلما رأوا إصرار متعب وغضب عبيد وتخليه من الدخول في شأنهم اغتنموها فرصة .

فلما أصبحوا ، وقد كان للامارة مجلس معتاد ، الصبح بعد طلوع الشمس ، وبعد صلاة العصر ، فلما جلس متعب الصبح وإذا هم قد استعدوا له في التفكان [1]، وقد كان مجلسه مقابل القصر ، وهم في القصر، لأنه أبقاهم في دار أبيهم، وهو إذ ذاك قد بنى قبل إمارته بيت كبير أحسن من القصر وبقي فيه .

أما هم حالا أطلقوا عليـــه رصاصتين ، أما واحدة فهي ضربت عند كتفه ولم تصبه ، وأما الثانية فضربته ولم يصل الأرض وفيه روح [2].

وكان عبيد يخرج عادةً إلى نخل أبيه كل يوم من الصبح ويأتي بعد انفضاض المجلس ، فلما وصل النخل وجاء على عادته وإذا الناس في ضوضاء،وإذا الوزير المشار إليه يعارضه يصيح يقول: ما تقول يا عبيد في هؤلاء الجهال الذي قتلوا متعب ، وكان عبيد راكباً فرس وعبيده ورجاجيله يمينه ويساره كجاري العادة .

فعند ذلك قال : والله ما قتل متعب إلا أنت ، اقبضوه، فقبضه أحد العبيد وجعل عمامته في عنقه وقال : أمش به

(١) التفكان : جمع تفق والكلمة تركية وهي البندقية .

(٢) سنة ١٢٨٥ ﻫ .

قدامي ، فلما مشى اخترط عبيد سيفه وضربه ضربة واحدة في المتن قصت أضلاعه فسقط ميتاً .[1]

أما أولاد طلال فجاؤا إلى عبيد يعتذرون ويتصفحون ماذا في خاطره ، فلما حضروا قال : ما فلتم إلا عضدكم ولا فلتم إلا عددكم ، وقد عققتم أباكم وعمكم ، فحسبكم الله ونعم الوكيل .

أما الامارة فكانت لبندر ، وكان رجلا شجاعاً ، عالماً برمي البندق ، من أجود عائلته بالكرم ، ولم يكن فيهم بخيل والله شهيد ، ولم نطرهم إلا لأن ما يعلم يقال .

أما محمد بن عبدالله فقد كان أرسله متعب بهدية إلى عبدالله ابن فيصل وهي خيل ، وبلغه خبر قتل أولاد أخيه طلال لاخيه متعب ، فامتنع وأقام عند عبدالله بن فيصل وأكرمه وأستمر على ذلك سنة .

أما بندر فهو تخوف من عبدالله أنه يساعد محمد عليه[2]، فعند ذلك ركب بهدية إلى عبدالله وأتاه واعتذر عن قتله لمتعب والأسباب التي جرت إلى ذلك ؛ وقال لمحمد : أنت عمنا وخليفتنا في أبينا ، وإن أردت الامر فأنا أعاهدك ان الأمر لك ، واني اكون خادماً لك ، وهو صادق ، ولكن اخوانه كانوا شريرين ، واصل البلاء الذي عاد وبالا عليهم .

---

(١) وزير متعب ، هو : عليوي بن كريشان ، من بني خالد (فهد) .
(٢) حاول عبد الله الفيصل ان يساعد محمداً على بندر ، فلم يقبل محمد (فهد)

وقال محمد : أنا ما أريد الأمر ، إنما الامر لأبيكم ولكم ، ولكني أريد أمارة الحاج، وقد كان الحاج يأتي كثير من النجف الى الجبل ويسير الى مكة، ويرجع الى الجبل ومنه الى النجف.

فعند ذلك اعطاه بندر عهود ومواثيق ، وان جميع ما أردت وما امرت يكون ما ينقض ولا يرد، واشهدوا عبدالله على ذلك وركبوا منصرفين .

فلما قدموا الجبل وفي به بندر سنة ، وقد كان عبيد بن الرشيد رحمه الله قد توفي [1] .

وبعد ذلك تنكروا اخوان بندر [2] لمحمد ، وأخافوه ، وغيروا بعض أحوال بندر عليه، فقط ان بندر رجل خلائقه حميدة ، فلما وصل محمد الى النجف وقد كان الجبل في سنة مجدبة واذا قبيلة من الظفير كان بندر غضب عليهم وتوعدهم .

أما محمد فيما يخبر من حال أهل حايل من القحط اعطى خبر من أراد يشيل لنا عيش الى الجبل نعطيه حملين ، لنا واحد وله واحد كائن من كان ، فأتاه خلق كثير ، ومن جملة من اتوه الظفران المذكورين ، وهم جملة الذين شالوا مقدار خمساية حمل حق محمد .

فلما وصلوا عن البلاد مرحلة تقدم محمد معه أهل خمس ركايب واذا بندر له بستان يعمر (يغرس) فيه في أسفل البلد، يبعد عن القصر ثلثين ساعة ، وقد كان ظهر اليه بعد الظهر وهو على

---

(١) سنة ١٢٨٩ - (فهد) ،

(٢) في الأصل : عبيد ، وصححها الاستاذ فهد ،

الد ب ، فلما رأوا أهل الركاب أرسل لهم ان الامير هنا فقدم عليه وسلم ، وقد كان ما معه من أخوانه أحـــد ، فقط معه حمود بن عبيد ، وكان حمود في سن محمد ومتصاحبين من صغر ، وكل منهم مخيفينه أولاد طلال وحاقرينه وممتهينه ، فقط حمود يريد مكان أبيه عبيد عند أبيهم طلال ولم يحصل له ، فعندذلك لم يكن راض .

أما محمد وبندر فتفاوضوا في الحديث الى أن وصلوا مادة الظفير ، فلما سمع بندر خبر آل الظفير استشاط غيظاً وقال لمحمد : كيف تأتي بهم وأنت تخبر اني غضبان عليهم ، فقال : هون عليك ، اني لم اقدم بهم ليأكلوا كلأ بلادك ، وانما قدمت بهم حاملين ارزاق ، واذا وضعوها يرجعون لم ينقصونا شيء ، انما هم مسوّين فينا معروف .

فقال بندر : اني آخذهم واقتلهم .

وقال محمد : اني معطهم أمان .

وقال بندر : الأمان من أين لك ؟ أنت وأيام في سَنَع واحد ، ولا تعطي شيء من الامان ، وأنا ما أذنت لك .

فعند ذلك محمد أستشاط غضب ، وحمود استسر في ذلك ، لأنه تيقن ان محمد يفعل في بندر .

أما محمد فكتم الغيظ وغالط بندر الكلام وقال : ان الله يهديك وإلا ما رأيت هو المبارك .

فلما صلوا العصر ركبوا ، وقال بندر لاحد خدامه : هات فرسك أركبها عمك ـ يعني محمد ـ لان راكب المطية يمتحن

اذا مشى مع صاحب الفرس اذا كانوا يريدون المحادثة .

فلما ساروا وظهروا من النخل قال له محمد : يا بندر ما أخبرتك أن الرصاصة التي في قدمي خرجت ، وقد كان في قدمه رصاصة من أهل الجوف في حربهم لهم، قبل أن يدوخهم عبيد ، ويستولي عليهم، والرصاصة مكثت في قدم محمد مقدار ثلاث سنوات . وهم متصافين يمشون ، فحوّل محمد رجله يوهم بندر أنه يريد يريه مكان الرصاصة ، حالا إذا يده اليسرى في رأس بندر ، وهو له شعر طويل ، يسمونه القرون ويده اليمنى في خنجر كان على وسطه ، فطاحوا ، فما ورد الارض إلا وبندر قد فاضت روحه من شق كبده .[١]

أما حمود فحالا أغار ، وكان بيته في القصر هو وأولاد طلال جميعهم في القصر ، والقصر واسع النواحي مربع وطوله ١٣٠ ذراع وعرضه كذلك ، وقال لأحد خدام محمد : قل لمحمد : أنا على العلم الذي بيني وبينه لم أتغير ، ويكون مني على ثقة .

أما حمود فلما وصل عند غروب الشمس وإذا له بيت في بستان قريب من القصر وفيه غالب الحاشية والخيل ، وانما القصر ما فيه إلا بيوت نسوته ، وإحداهن بنت لطلال، فلما دخل قال لعبيده وثقاته من خدامه قدر خمسة عشر رجل :

---

(١) يبدو من سياق الحديث ـ ان محمداً يقصد قتل ابن أخيه بندر ، من الأساس ، اما قضية انه قتل من اجل الظفير فهذه وسيلة (فهد) .

شيلوني حتى كأني طايح من الفرس فأدخلوا بي القصر إلى محل إحدى نسائي ، ففعلوا به فعل المصروع وهو يتمايل يرى ذلك وكان السلاح محله في بيته الذي في القصر .

عند ذلك غربت الشمس ، وقام ودخل على الحجرة التي فيها السلاح ، وأعطى العبيد والخدام (تفكان) وسيوف وقال لهم : كل منكم يكون في ناحية واستعدوا للقتال ، وقد كان خلف أخاه فهيد في البيت الذي خارج القصر وقال : متى أتاك من خدامنا أو ممن يريدنا من أهل حايل فخلهم يبقون عندك ، وأنا بعد قليل أراجعك من القصر ـ ولم يكن بين القصر وبين البيت إلا درب مقدار ستة عشر ذراع ـ ولكن أكتم الخبر حتى تسمع الرمي ، فاذا سمعت الرمي أغلق البيبان وتحفّظ .

أما محمد فجاء وجعل البلد عن يساره ودخل في الليل ، واذا حرمته بنت عبيد بن الرشيد في بيته ، وبيته يبعد عن القصر مقدار ثلاث دقائق ، وقد أحست بالخبر وظهرت للسوق فاذا هو قد أتى وقال : ما عندك ؟ وهو اذ ذاك قد عزم في نفسه ان اذا لم يقدر على أولاد طلال ، ولم يكن حمود يساعده أنه يهرب الى المدينة ، فلما جاوب حرمته قالت له : ان أخي حمود قد استعد معك ، وأنت لا تخف حتى يتبين الامر .

حالا علموا أولاد طلال أن حمود خدعهم ليس فيه شيء مما ادعى ، ولكن لم يعلموا بقدوم محمد ، ولم يعلموا بما جرى على بندر .

فأتتهم أم بعض الاولاد الذي أختهم عند حمود بنت طلال وقالت : أنا جئتكم من بيتي، ورأيت حمود مستعد بالسلاح وخدامه وعبيده، وأمر على حرمته الثانية تجمع ما كان حولها من المال وتدخله في البيت ، وهذ لِأمرٍ .

فعند ذلك أمروا على دروازة [١] القصر أن تغلق ، وقد كانت حاشيتهم متفرقة ، لأن غالبهم يحضرون بحضور الأمير، ويغيبون عند غيابه .

فلما مضى ساعة ونصف من الليل وَجدوا الخبر ، وثار الرمي في القصر بينهم وبين حمود .

أما أهل الجبل فلما قتل بندر لم يكن لهم رغبة فيإخوانه لما يعهدون فيهم من الشر ولم يدرون ما فعل محمد .

فعند ذلك مشى حمود وأوادمه على باب القصر وعالجوه ، واذا المفتاح ليس فيه ، وإذا الباب منيع عن الكسر ، وإذا فيه خرقة إذا رد الباب الكبير تبقى للاوادم ، وقد أغلقت هذه أيضاً ، فكسروا مزلاجها بعد عناء شديد ، وقد أطلقوا عليهم الرصاص وصوبوا أحد العبيد .

وقال حمود لعبيده : من يخرج يخبر محمد في مكاننا ، وكان الذي يخرج مقابل للرمي لأنه حدرهم ، وهم فوق .

فعند ذلك انبرى عبد يسمى سعيد آل عبيــد وقال : أنا

---

(١) الدروازة : الباب ، والكلمة فارسية .

وخرج وركظ مقدار مئة وعشرين ذراعاً إلى أن صـــار ما ينظرونه مَن في القصر .

فلما أتى وإذا محمد مجتمع عنده مقدار أربعين رجلا من الذي يودونه ، وقال العبد: يا محمد ، عمي ينتظرك وقد كسر الباب ، فقال محمد : من أين أتيت ؟ فقال : مع الباب وعمي واقف عنده .

وقد كان لمحمد عبد مشهور في الشجاعة وقال لمحمد : امش وانا اشيلك، واركض بك وادخل بك، والناس يقفون هنا إلى أن تدخل ، ففعل ، وأتى به هو وعبد حمود ، وجعلوه بينهم فيما يزعمون انهم يريدون يقونه من الرصاص وهذا من عقول العبيد واخلاصهم ، وركضوا به ، ووقفوا من خارج وادخلوه لأن المنفذ ضيق ، ودخلوا بعده ، ورجعوا إلى مكان حمود ، وقد استولى على قسمٍ من القصر يقارب النصف .

أما أولاد طلال فرئيسهم بدر ، ومصلط وسلطان الباقين صغار ، لمـــا علموا بدخول محمد وأنه هو وحمود كانوا يـــداً واحدة سقط في أيديهم ، إلا أنه كانوا يأملون النجدة من أهل البلد لمـــا يعلمون من محبتهم لأبيهم .

أما أهل البلاد لما علموا أن محمد دخل القصر جاؤوا يضربون طبولهم ، فلما أن وصلوا مقابل القصر قال لهم بدر : أنتم لنا أو علينا ؟ قالوا : مَن أنت ؟ قال بدر ابن طلال ، فقالوا : إلا عليك .

فعند ذلك أمر أصحابه يطلقون عليهم الرصاص، وتقهقروا وأتوا من شمالي القصر ، لأنه هو واجهة حمود .

أما حمود فراجع أخيه فهيد ، وقال : أرسل لهذه الجماعة الذي نسمع طبولهم وأدخلهم مع ظهر البستان ، لئلا يصل اليهم الرمي ، فإذا استقرُّوا عندك خلّ فلان وفلان وفلان يقفون معك في هذا السطح القريب حتى نجاوبهم ونشوف ما عندهم ، ففعل كما أمره أخوه .

فلما وصلوهم رجاجيل فهيد وأخبروهم قالوا : نحن ما جينا إلا لمحمد وحمود ، فلما دخلوا المكان أشرف عليهم محمد وحمود وجاوبوهم وإذا عندهم ما يحبون .

وقد كان عبيد قبل وفاته قايل لحمود : أما تحتاج لمنفذ ترى في هذه الدار باب قديم وهو مسدود سدّ ليس بالقوي ، لأن القصر عرض جداره مقدار عشرة أذرع ، وهذا الباب لم يعلم فيه أحد غيري وغيرك ، عن الدنيا وأحوالها .

فقال حمود : يا فهيد امش في الجماعة وات ِبهم حدر المقصورة وسَمّاها له ، وانتظرونا .

حالاً أخذ المعول حمود وأشعل السُرج ودخل الدار وهي إذ ذاك مسدودة الباب الذي من يمّ (١) القصر ، ولم يدخل من زمان عبيد إلا بعد ما قضْ الباب حمود .

فلما دخلوها لقي الباب الذي وصفه له أبوه ، أمر العَبيد

---

(١) يمّ : جهة .

فقضوه ، فدخل فهيد يقدم أهل البلاد .

فلما استقروا علموا أولاد طلال أنهم يقبض عليهم ،وقاموا وكسروا بعض الخزانة وأخذوا منها بعض الذي يطيقون حمله من الجنيهات ، وربطوا حبل في شرفات القصر ، وأدلوه إلى الأرض ونزلوا ، بدر ومصلط ، فلما نزل سلطان ، وجاء مقدار قامتين انقطع الحبل وطاح وتعوّر .

أما خدامهم فبقوا يرمون ويصيحون ، ويرون أن الأولاد باقـين .

فلما أن قرب الصبح حملوا محمد وحمودفي من معهم على الباب الذي منحازين فيه ، وكان الباب في قبّة لم يتسلط عليه الرصاص وجعلوا يضربونه بالفؤوس ، فقال رجل من رؤساء الخدام : يا محمد ، قف لأخبرك ، فصبر محمد وقال : اخبرني ، فقال : اعطني الأمان أنا والذي معي لأخبرك ، فقال :الأمان لكم،قال : أما اولاد أخيك فهم هربوا الساعة أربع عربي من الليل، وأما خزانتكم فهي مكسّرة ومنثّرة ، وإن دخلوا أهل البلاد تلفت خزينتكم .

فعند ذلك أمر محمد حمود وقال : قف وأنا أريد أدخل .

فقال حمود : ما تدخل إلا أن يخرجوا الرجاجيل الذي في القصر، وأنت قف على الباب ونحن عندك، ومرهم يخرجون، فإذا خرجوا أدخل،فأمر عليهم أن يضعوا السلاح ويخرجون، فخرجوا ، فلما دخل محمد وإذا الحال كما قيل له .

أما سلطان فجاءه من شاله ووضعه في بيت ، وأما بندر

ومصلط فهربوا —وأما محمد لما أصبح اجتمعوا عليه أهل البلاد وعاهدوه بالامارة ، وبعث سرايا تدوّر على الأولاد .

أما مصلط فوجدوه لم يبعد عن البلاد لأنه ضرب بالتيه ، وجدوا أثره يتردد إلى أن فضحه الصبح .

وأما بندر فهو وصل إلى جبل مقدار خمس ساعات ، والجميع قُبِضَ عليهم وأتي بهم محمد فقتلهم .

أما أولاد طلال البقية فلم يكن لهم عقب غير نايف ، وصار له ولد سمّاه باسم أبيه طلال .

وطلال له ابنان ، وهو مات رحمه الله - ولم يبق من عقب طلال إلا هذان الولدان .

وطلال الأول خلّف بنات .

استقامة الأمر لمحمد بن رشيد

أما محمد فهو ملك اثنين وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وتوفي – رحمه الله – ثالث رجب سنة ١٣١٥ ، واستقام له الأمر على الجبل وملحقاته من سنة ١٣٠٨ .

وصار القصيم تحت ولايته . وفي آخر السنة المذكورة لم يكن له في نجد منازع ، وغزواته كثيرة مشهورة ، نسمي الوقعات منها على التاريخ : —

أول ما كان من وقائعه ما عدا الغزوات ، الوقعة التي صارت بينه وبين عنَزة ورؤسائهم دُغَيّم بن هذال ، ورا كان

بن مجلاد ، المسماة بالنقيرة .

الثانية : وقعته مع عُتيبة ، ابن حُميد .

والثالثة : الوقعة التي يسمونها أُم العصافير ، وهي على عُتيبة وعبد الله بن فيصل رئيسهم .

الرابعة : الوقعة المسماة بالمليداء – وقد مرّ ذكرها .

الخامسة ، وقعته المسماة بجريملاء وقد مرّ ذكرها .

أما غزواته على البوادي فكثيرة .

فلما توفي – رحمه الله – وكان له من العمر ثلاث وستون سنة ، قام بالأمر من بعده ابن أخيه عبد العزيز بن مُتعِب ، بطل نجد وشجاعها ، ومن شاء فلينكر . ولكن : –

إذا كان غير الله للمرء عُدّة
أتته الرزايا من وجوه الفوائد

أما عبد العزيز فما عدا سنتين من ولايته الباقي كله حرب وضرب إلى أن توفي – رحمه الله – وأكبر وقعاته :

وقعة الصريف المشهورة : وقد مَرّ ذكرها .

ووقعة البكيرية : بينه وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل السعود . وقد كان له الظفر في الاثنتين .

وأما غزواته فأكثر من أن تُعَدّ .

عبد العزيز آل سعود

أما عبد العزيز بن عبد الرحمن ، فقد تقدم الكلام على انه

ساكن الكويت ، فلما كان سنة تسعة عشر (١٣١٩) ظهر من الكويت في نفر يزيدون عن العشرين ، وما زال يغير وينهب هو ومن وافقه من العربان الذين نبذوا طاعة عبد العزيز بن الرشيد ، وقد كان عبد العزيز في مكان يسمى الحَفَر حفر الباطن ، واسمه القديم حَفر ابي موسى الأشعري زمان هو والٍ على البصرة من جهة عمر بن الخطاب ، وهو يبعد عن الكويت ثلاثة أيام أو أقل .

فلما تبين أمر عبد العزيز بن سعود ، سطا على أمير الأمير عبد العزيز بن الرشيد في الرياض ، بلاده وبلاد آبائه فقتل الأمير واستولى على البلاد ، وحبّوه اهل البلاد ، فقام وجدّ واجتهد في تحسين البلاد .

أما عبد العزيز بن الرشيد فلما بلغه الخبر حقَره وتكبّر ، وقال : خَلّهْ يتحصن ويسوّي كل ما عنده وانا اجيه ، ولم يقل ان شاء الله . حتى ان عبد العزيز بن سعود كبر في نجد في جهته واستولى على عدة قرى ، حتى أن أهل القصيم المشار اليهم ، وهم عائلة حسن المهَنّا ، خرجوا إلى عبد العزيز بن سعود وطلبوا منه المساعدة أن يسير بهم إلى بلادهم .

وقد كان عبد العزيز بن الرشيد قد انحدر إلى العراق ، لأنه يريد أن يسير بجميع بواديه ، ولكن ما يتأتى ذلك إلا انهم يردون العراق ويشيلون منه أرزاقهم ، الذي تكفيهم سنة ، لأن المسافة بعيدة .

وقعة البُكَيْرِيَّة

فعند ذلك اختلفت الرواية في مسألة ظهور العسكر مع عبد العزيز بن الرشيد ، أما قول : فهو طلب من السلطان عبد الحميد عسكر واجابه،واما القول الثاني انه أمْرٌ من السلطان. فخرج معه ثمانية طوابير عسكر ، معهم اثنا عشر طوب .

أما ابن السعود فهو طبّ [1] القصيم وقتل أمير عبد العزيز ابن الرشيد في عنيزة ، وهو المسمى بفُهَيد بن سبهان .

أما أمير بريدة فهو احتصر في الحصن ولم يقدروا عليه إلى أن نفد الزاد من عنده ، ولم يأتهم خبر أن ابن الرشيد ظهر في عسكر ، فعند ذلك طلبوا الأمان ، وأمنهم على دمائهم وأنه يعطيهم زمايل إلى أن يصلون إلى مأمنهم ، وأرسل معهم رجاجيل يردّون الزمايل اليه .

دور المؤلف في هذه الحوادث

وقد كان عبد العزيز بن الرشيد لما قارب حدود العراق ، ردّ ضاري بن فهيد معه مقدار ثلاثماية رجل ردئاً للأمير الذي في عنيزة ، فلما قرب منهم مقدار يوم وإذا المسألة جارية قبله بثلاثة أيام ، والأمير مقتول، وابن سعود مجمعين له أهل القصيم بالطاعة .

---

(١) طبّ : وصل .

فرجع ضاري ونزل في قرية تسمى الكُهفَة ، واجتمع عليه الذي في أطرافها من شمّر ، إلى أن قدم عليه أمير بريدة ومعه رجاجيل ابن سعود ، فتلقاهم وأرسل للبدو ، وقال : اعرضوا على الخيل لأنه يريد يُرى رجاجيل ابن سعود انه عنده قوة ،نعرض عند ذلك النهار ما يزود عن اربعمائة خيّال ، وردّ الزمايل الذي لابن سعود ، واستقام هو وأمير بريدة ومعه خمسون رجل .

وقد كان مع ضاري ثلاثة حمول (تفكان) زيادة فأعطى أمير بريدة وبقي في ذاك المكان ، وراجع عبد العزيز بالخبر ، وإذا عبد العزيز قد أقبل وورد ماء يسمى لِينَة على طريق الحاج من العراق ، وإذا في المكتوب : إنك تبقى في مكانك إلى أن أقدم عليك نحن والعسكر ، ففعل ، فلما مضى أسبوع اجتمعوا وكانت الوقعة المسماة بالبُكَيْرِيَّة .

وذلك أنه لما استولى عبدالعزيز بن سعود على القصيم ساعده أهل القصيم وكان معه قوة تقابل .

فعند ذلك ظهر إلى القرية المذكورة وصارت الوقعة وانكشفت الهزيمة على ابن سعود ، وقتل من العسكر فوق المئتين ، ومن قوم ابن الرشيد مقدار مئة .

وأما ابن سعود فجنده ما عدا أهل القصيم تلفوا ، وقد أمر في بريدة العائلة التي ذكرنا أنها حبُسَت في زمن محمد بن الرشيد وأنهم خرجوا من الحبس خفية ووردوا الكويت ، وهم أولاد حسين بن مهنّا .

وأما عنيزة فأمر فيها رجل من عائلة آل سُليم ، رؤسائها القديمين يسمى عبد العزيز بن عبد الله – وهو الآن أمير – .

وأما أمراء بريدة فكان بينهم وبين عبد العزيز بن سعود بعد زمن ، وحشة أدّت إلى قتلهم .

مقتل عبد العزيز بن رشيد

أمـــا عبد العزيز بن الرشيد فلم تزل الحرب بينه وبين ابن سعود سجال إلى أن توفى عبد العزيز بن الرشيد قتلا رحمه الله – وقد كان غزا على عربان من مُطَير وأغار عليهم وأخذهم وانقلب ، وإذا ابن سعود في طرف العربان .

فلما علم بخبر ابن الرشيد انه أغار وأخذ أموال ، قال : هذه فرصة ، فانتهزها وتبع ابن الرشيد على غير علم منه ، فلما مشى يومين أتته عيونه وقالوا : هذا ابن الرشيد نازل قريباً ، فقال : اننا لم يكن معنا قوة نقابله في النهار ، بل نتركه إلى الليل لأننا إذا قربنا منه وهم لا يعلمون ، وأحست الابل بالرمي طبعاً تهجُ ، فعند ذلك كل انسان يكلف حفظ ركبه ولم يألوا على القتال فندرك بعض مرامنا ، فكانت القصة كما قال .

فلما ان كانت الساعة سبع ونصف من الليل عربي ، وهو إذ ذاك منوّخ جيشه مقدار ساعة ونصف عن ابن الرشيد ، ومشى خيل ورجل .

فلما حلت الساعة المذكورة وإذا هم قد وصلوا،وابن الرشيد لم يعلم هو وقوته إلا بعد ما كانوا عنهم مقدار عشر دقائق .

فعند ذلك انتبهوا وصلـّوا ، وركب عبدالعزيز بن الرشيد ولم يأخذ معه من السلاح إلا كردته [١] المشهورة (مرجانه) ، فعند ذلك اصطدم الجمعان ، وابن الرشيد لم يعبأ للقتال .

وأما ابن سعود فكان مستعداً ، ولم يكن مع عبد العزيز من العائلة الرشيدية إلا أبناؤه وواحد منهم في السابعة عشر من عمره ، والثاني في الرابعة عشر ، ولم يكونوا يحسنون القتال ، ومعه فيصل بن حمود بن عبيد ، وهو إذ ذاك الذي يساعده في تدبير الشؤون .

فلما أن ثار الرمي هجـّت الابل والركاب،وضجـّت الخيل ، لأن القوم متفرقين في المنزل ، وأتاهم الأمر على غرة .

فعند ذلك انهزم من انهزم ، وثبت من ثبت ، والمنهزمين أكـثر .

فلما رأى عبد العزيز أن الأمر آل إلى الهزيمة أبى أن يفرّ،استقبل جمعهم بسيفه يضربهم إلى أن وصل الى البيرق[٢].

فعند ذلك عرفوه وقالوا : هذا عبد العزيز بن الرشيد ، فأطلقوا بنادقهم،وعند ذلك خرّ قتيلاً وفيه وخمس رصاصات. أما فرسه فلحقت القوم ، وعلموا أنه فقد أبو فيصل ، فهو في

---

(١) البيرق كلمة تركية عربيتها : العَلـَم.

(٢) الكِردة : سيف قصير مستقيم .

الجانب الأيمن ، ولم يعلموا حتى ان انكشفوا ربعه من عنده ، وأتاه ربع من قوم ابن سعود وهو معه عمه خيّالان من رجاجيله، أما واحد فقتل ، وأما الثاني فكسرت يمينه .

وأمـــا فيصل فهم قبضوا رسن فرسه وأطلقوا عليه البنادق وأصابته رصاصة في مؤخر رأسه ، وفرسه أصابتهـا رصاصة خرقت رقبتها ولم تقتلها ، فلما طاحت الفرس تنحّوا الذين كانوا قاضبينها ، لأنهم تيقنوا أنهم قتلوه هو والفرس .

فعند ذلك انتعشت الفرس ولم تكن طاحت إلا على يديها، فاعتدلت وهمهمت ، وعلم أنه لم يصبها شر ، فحثها، فخرجت به من وسط القوم ولحق بأصحابه سالماً .

أما الجرح الذي فيرأسه فهو بقي مدةثلاثة أشهر واندمل، وأما الفرس فبقي جرحها مقدار شهر ونصف وبرئت .

أما ابن سعود فلما أصبح وجاؤوه بسيف عبـد العزيز ومَهْره، حمد الله وقال: الآن طابت لي الحياة ، لأني لم أعدّني حيّ ما دام هذا الانسان حيّاً .

أما قوم ابن الرشيد فتبعتهم خيل ابن السعود إلى الصباح ، وقد كانوا لما بعدوا عن محل الوقعة اجتمعوا ، وكانت الخيل تقاتل في مؤخرة الجيش إلى أن أصبحوا .

فلما أصبحوا رجعوا قوم ابن سعود إليه ، وقد كان في قوم ابن الرشيد منعة ، فلما لحقهم فيصل سأل عـن الأمير فقالوا : ُقتل . وسأل عن ابنه متعب ، وقالوا : هو ذاك مع

أهل الجيش فلحقه ، واجتمعوا ورجعوا إلى أن قدموا بلادهم .

فلما قدموا على حمود بن عبيد، وكان جدّ متعب لأمه ، قال لمتعب : انت إن شاء الله فيك خلف من أبيك ، وقد كان عبد العزيز آلى على نفسه منذ ثلاث سنوات انه لا يدخل حايل حتى يرد المملكة على ما كانت عليه سابق أو يقتل ، فلم يدخل حايل .

أمراء الرشيد بعد قتل عبد العزيز

فعند ذلك أمر حمود أهـــل البلاد أن يعاهدوا متعب بالامارة ، واستقام ثمانية أشهر ومات .

وتولى بعده ابن حمود سلطان ، فلم يلبث إلا سنة وشهرين، فمـــات .

وتولى بعده أخوه سعود بن حمود فلم يلبث إلا ثمـــانية أشهر ، فمات .

أمـــا أولاد عبد العزيز فهم أربعة : متعب ، ومشعل ، ومحمد ، وسعود ، أما الثلاثة فماتوا [١] .

---

(١) علق الاستاذ فهد على هذا قـــائلا : (لم يذكر الزاوى الحقيقة على وجهها الأكمل ، في موت كل من متعب بن عبد العزيز ، ولا موت سلطان الحمود ، الذي تولى الامارة من بعده ، ولا موت سعود الحمود ، الذي تولى الامارة بعد سلطان ، والحقيقة هي : ان متعباً قتله خاله سلطان غدراً ، هو واخوته ، مشعل ومحمد ، وابن عمهم طلال . ←

أما سعود فهو الآن أمير الجبل .

عوائد أهل نجد

أما عوائد أهل نجد فهم لا يزالون متمسكين في أغلب سيرة العرب المتقدمين ، منها إكرام الضيوف ، وتزحيف الزحوف،وصف الصفوف في الحرب ، وفيهم مأوى للغريب ، وإكرام للقادم ، ومواساة للجار ، وأنفة وإنكار الضيم ، وهم من حيث الطعام قسمان : النجد الشرقي ، وخبزهم الرز والبر .

والغربي : التـمّن [1] . والتمر للجميع ، وألبان الابل والغنم ولحومها جميعاً ، والبنيان في جميع نجد بالطين ، إذا جمد كان بصلابة الصخور ، ويوقفون في وسط البيت عموداً يركزون عليهم الاسطوانات ، وأغلب سقوفهم من خشب الأثل ، والزراعة مقصورة على الحضر، والبدو كالسابق رحّل يسرحون في البراري والقفار ، وتجارتهم مع بغداد والكويت

← وسلطان قتله اخوه سعود . وسعود قتله آل سبهان باسم سعود بن عبد العزيز المتعب ، الذي كان طفلاً عندما هرب به أخواله آل سبهان الى المدينة .

ولعل السبب الذي حمل ضارياً على اغفال ذكر الحقيقة هو ان القتلة ابناء عمه – أي سلطان وسعود وفيصل ابناء حمود بن عبيد ، وضارى هو ابن فهيد بن عبيد – ولو لم يهرب ضاري نفسه – لقتله آل سبهان . انتهى .

(١) التمّن : الرز .

والبصرة والحسا والشام والمدينة ومكة ، ومستورداتهم لوازم المعيشة من ملبوس وطعام كالأقمشة من بغداد، والقهوة والشاي والسكر من الكويت والاحساء ، وتجارتهم مع الشام ملابس وحديد ومرس .

* * *

صفة عبد العزيز آل سعود

أما ابن سعود فهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ، فهو رجل شجاع صاحب سياسة في قومه، وله تصرفات في الحرب ومكائد أكثرها ينجح .

وهو رجل مديد القامة ، حتى انه لم يكن في نجد اليوم أطول منه ، وهو مع ذلك متناسب الأعضاء ، حسن الوجه أبيض ، وشعره أسود ، خفيف اللحية والعارضين ، وهو جواد محبوب ، ذو رأفة في عشيرته وممالكه .

إقامته في الرياض ، وهي عاصمة ملكهم من زمن تركي إلى الآن ، وأما نجد فهي لم تزل خاضعة له ويتصرف فيها كيف شاء ما عدا الجبل وملحقاته ، وفي سنة ١٣٣١ استولى على الحسا والقَطِيف ، وله أولاد ، الكبير اسمه تركي ، وسعود ، ومحمد ، وخالد ، وفهد .

* * *

بين حايل والرياض مسير عشرة أيام .

وبين حايل والكويت أربعة عشر يوم .

وبين حايـــل والعراق (بغداد – الحسين – والمشهد والموصل) أربعة عشر يوم .

وبين حايل ومكة أربعة عشر يوم .

وبين الرياض والكويت عشرة أيام ، بمعدل مسير القوافل[1].

---

(١) هذه التقديرات قبل وجود السيارات والطائرات ، التي بواسطتها كادت تنعدم المسافات .

فهرست

القول السَّدِيد

في أخبار إمارة آل رشيد

تأليف

سليمان بن صالح الدخيل

(١٢٩٠ - ١٣٦٤هـ)

ترجمة الاستاذ سليمان الدخيل

الاستاذ سليمان بن صالح الدخيل : أديب نجدي اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة، وله فيها كلها آثار لا يسع الباحث في تاريخ نجد إهمالها .

لقد ولد الاستاذ سليمان في بلدة بريدة سنة ١٢٩٠ من أسرة كريمة النسب ، تنتمي إلى قبيلة — الدواسر — من همدان ثم من قحطان .

وقد ضاقت عليه أسباب المعيشة فانتقل إلى البصرة ، ثم إلى الهند حيث عمل كاتباً لدى التاجر النجدي المعروف عبد الله بن محمد الفوزان ، ثم عاد من الهند بعد أن أصبح عمه جار الله الدخيل وكيلاً لامارة آل رشيد في بغداد ، فسافر اليه ، وأقام هناك .

وفي سنة ١٣٣٢ لما قامت الحرب العامة الأولى هرب من العراق خوفاً من القاء القبض عليه وتسليمه لولاة الأتراك . وواصل السفر إلى المدينة بعد أن وجد الأحوال في نجد مضطربة ، فأقام فيها مدة ، نسخ في خلالها بعض الكتب الخطية النادرة ، المتعلقة بتاريخ العراق ، أو تاريخ العرب ، ثم عاد إلى بغداد ، وقويت صلته بعلامة العراق السيد محمود شكري الألوسي ، وبغيره من العلماء والأدباء كالأب أنستاس

الكرملي ، واتجه إلى الاشتغال بالأدب والتاريخ ، وأصدر جريدة الرياض ، ثم مجلة (الحياة) وألف كتباً ورسائل تتعلق بتاريخ نجد منها :

١ – القول السديد ، في أخبار امارة آل رشيد . ألفه سنة ١٣٣٨ هـ [وسيأتي وصفه] .

٢ – البحث عن اعراب نجد ، وعما يتعلق بهم . واسم الكتاب لا يطابق مسماه ، فهو مجموعة تتضمن اشعاراً عامية لمشاهير شعراء نجد ، مثل رميزان ، والقاضي ، وعبد الله الفرج ، وعبيد ابن رشيد وعبد العزيز بن جاسر بن ماضي والهزاني ، وغيرهم ، ويقع في ٣٣٢ صفحة في مكتبة الآثار العراقية ، برقم ١٩٣٦ م .

٣ – تحفة الالباء في تاريخ الاحساء ، وهي رسالة مختصرة مطبوعة .

٤ – تاريخ امارات العرب .

رسالة صغيرة ، تقع في ٦٩ صفحة (مقاس الصفحة ٢٠× ١٤ سم) موجودة بخط المؤلف في مكتبة دار الآثار العراقية – من كتب الكرملي – برقم ١٩٢٦ . وتتضمن معلومات موجزة عن امارة آل رشيد، وعن آل سُليم (امراء عنيزة)، وعن امراء بريدة .

وتلك المعلومات لا تحوي كبير فائدة ، وهي مسودة الكتاب، ومنه قطعة أخرى في بضع ورقات في المكتبة المذكورة .

٥ – مختصر حديقة الزوراء .

حديقة الزوراء كتاب ألفه الشيخ عبد الرحمن السُّويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ فاختصره سليمان الدخيل في ١٠٦صفحات.

٦ – مختصر منهل الأولياء .

الاصل لأمين بن خيرالله العمري (المتوفى سنة ١٢٠٣ هـ) ويقع المختصر في ٥٩ صفحة .

قال الاستاذ الدخيل : انه اختصر الكتابين من نسختين مخطوطتين ، رآهما في المدينة ، في مكتبة (داود باشا) والي بغداد ثم شيخ الحرم المدني .

وفي مكتبة الآثار العراقية (رقم ١٧٩٦) كتاب اسمه : « ديوان شعراء نجـــد ، من العوام العصريين » جمعه الأب أنستاس الكرملي من أفواه نجديي بغداد ، القادمين من نجد ، بين سنتي ١٨٩٥ و ١٩٠٠ م .

وقد ذكر الأب أنه قرأ بعضه على الشيخ سليمان الدخيل ، فشرح بعض قصائده ، وفي أوله ترجمة موجزة لسليمان ، كتبها الأب الكرملي ، ويقع الكتاب في ٣٥٢ صفحة .

وبالاجمال : فان كثيراً من كتاباته – على ضآلة نفعها – تعوزها الدقة ، وينقص كثير منها تحرّي الصواب .

ولكنه – مع ذلك – قام بنشاط كبير في مجال الصحافة والنشر .

ويُعَدُّ أول نجدي زاول مهنة الصحافة ، وأول نجدي اتجه لنشر المخطوطات .

وقد تحدث عنه الاستاذ روفائيل بطي في كتـــابه عن (الصحافة في العراق) فقال [1] :

وها انني أنتقل الى التحدث عن جريـدة ذات لون خاص في الصحف العراقية ، بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الجيل . فقد كان يقـيم في الكرخ من بغداد وجيه نجدّي هو الشيخ جار الله الدّخيل ، من أهل القصيم يتصل بوشيجة نسب بالأمراء آل سعود وآل الرشيد [2] . ومع جار الله وكالةلابن الرشيد في الخطة العراقية ، وله تجارة واسعة ، وهو يهيمن على طريق البادية وقوافلها ، وبإمرته أهنادُ الإبـــل ، يشتغل بتجارتها ، ويستخدمها في المواصلات ، يوم لم تكن في البلاد سيارات ولا قُطُر ولا طائرات . ولهذا الزعيم مضيف يعجّ بروّاده من البدو والحضر ، فأراد أن تكون له جريدة تعضد نفوذه ، وتوسعه ، وتخدم تلك الاصقاع المجهولة في عالم النشر يومئذ . وسهل مهمته ابنُ أخ له شاب نابه : سليمان الدخيل ، جاء بغداد من القصيم ، ودرس على بعض الاساتـــذة ، منهم محمود شكري الألوسي ، واتصل بالطبقة المفكرة ، والمشتغلين

---

(١) الصحافة في العراق (٢٨) وتحدث عنه في الموضوع نفسه في مجلة « الكاتب المصري » في الجزء الأول منها .

(٢) ذلك انه من الدواسر ، وأخوال الملك عبد العزيز منهم . وقد تزوج الملك نفسه ابنة صالح الدخيل ، كما تزوج الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد ابنة صالح أيضاً .

بالسياسة فأصدر جريدة « الرياض » متخذاً اسمها من قاعدة نجد . واستعان بطالب نجيب في المدرسة الاعـــدادية ، ذي موهبة كتابية ، اعتاد أن يترك مدرسته ويعيش في مكاتب الجرائد هو ابراهيم حلمي العُمَر .

ظهرت جريدة (الرياض) في ٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٠ أسبوعية ، عربية اللهجة ، أدبية المشرب ، وإن لم تكن قوية اللسان ، ولا مشرقة البيان ، إلا أن صفتها التي امتازت بها هي العناية الفائقة بأخبار نجد ، وجزيرة العرب ، وإمارات الخليج العربي .

ويجب أن نعترف ـ ونحن نحلل تسرُّب الفكرة العربية الى الأذهان ، في حكم الترك الذين لم يكونوا يريدون للنزعة القومية انتشاراً ـ بأن (الرياض) خدمت (القضية العربية) بمـا أحدثت من كثرة الضجيج والكتابة عن قلب الجزيرة العربية وينبوع العروبة . فقد أذاعت الأحاديث عن العرب المعاصرين ، وقبائلهم ، ومنازلهم ، ومنازعاتهم وغزواتهم ، وحربهم وسلمهم ، بنطاق واسع ، أثر على العقول ، ولفتها إلى إلى هذه الرقعة من العالم العربي .

وليس عليكم بعد ذلك أن تدققوا أو تلحفوا في تمحيص صحة ما ترويه صحيفة (الرياض) من أخبار الامــارات العربية ، وسلطات الخليج ، وزعامات البوادي ، فالمبالغة بادية عليها ، ولكن هذا لا يهم الكاتب او الناشر ، انما المهم أن أكثر مروياتها تشيــع في عالم الصحافة ، فتتناقلها الجرائد

في العراق والشام ومصر . وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون أسلاك البرق ، ودواوين الدولة العثمانية أياماً ، بل أشهراً ، بينما يكون الحادث من اساسه من مبتدعات خيال مدير الرياض ، أو محررها .

ولم يقف سليمان الدخيل عند الصحافة السياسية والاسبوعية ، بل انشأ مجلة (الحياة) شهرية .

وأسس دار طبع ونشر . فنشر موجز (عنوان المجد في تاريخ نجد) [١] لابن بِشْرٍ ، وألف ونشر (العقد المتلألىء في حساب اللآلىء) عن صناعة الغوص على اللؤلؤ في الخليج وقيمته [٢] .

ومن أعجب حوادث نشر هذه الدار انها طبعت كتاب (حساب الجَفْر) منسوباً الى (ابن العربي) فتلقفته الأيدي ، وذاع بين القراء ، ودر على الدار ارباحاً ، وحقيقة الكتاب من نتاج مكتب تحرير (الرياض) اوحته قريحة سليمان او ابراهيم او احدهما .

وأشار الاستاذ روفائيل إلى ان سليمان كان يتعرض للسجن من جراء ما ينشر في (الرياض) فقال [٣] :

---

(١) شاركه في اختصاره ونشره الشيخ محمد بن مانع حينما كان مقيماً في بغداد .

(٢) ونشر ايضاً كتاب (نهاية الارب في أنساب العرب) للقلقشندي ، ونشر غيره .

(٣) الصحافة في العراق (٣٨) .

(نشرت جريدة الرياضة قصيدة لمحمد الهاشمي ، عرّض فيها بالطغاة في إيران ، والظلم اللاحق بالمسلمين في تونس والجزائر ، وما يعانيه أهل القفقاس من ذلٍّ ، ودعا الشاعر على قيصر الروسية بمنقلب الظالمين ، فما كان من الحكومة التركية في بغداد، إلا أن قاضت الصحافي والشاعر، فحكمت المحكمة على كل منهما بالسجن ثلاثة أشهر) .

وقد استمرت جريدة (الرياض) من ٩٠٨ الى سنة ١٩١٤ سبع سنوات .

اما مجلة (الحياة) الشهرية فقد صدر منها سبعة اعداد .

وتوفي الاستاذ سليمان الدخيل في عام ١٣٦٤ هـ عن أربع وسبعين سنة في بغداد . قاسى في آخرها من ضروب الفاقة والفقر ، والعوز الشديد ما دفعه إلى أن يبيع كتبه ، ثم يعمد إلى مسودّات مؤلفاته الخاصة ، فيعرضها على الأب أنستاس الكرملي ، فيشتريها منه .

وكان يستعمل بعض الحيل ، ليظهر بعض المخطوطات التي كان يعرضها للبيع ، بمظهر الندرة :

ومن أمثلة ذلك ، ما نجده في طرة الجزء الأول من كتاب تاريخ نجد لابن غنام ، نسخة الأب الكرملي ، الموجودة في مكتبة الآثار العراقية .

فقد كتب الكرملي ما ملخصه : كان يتردد على مكتبتي سري من أهل نجد ، يدعى السيد سليمان الدخيل ، يستعين بي للكتابة في صحيفته ، ويستعير مني بعض المخطوطات لنشرها .

فقلت له ذات مرة : يوجد في خزانة كتب آل سعود تاريخ لهم ، فاسع للحصول على نسخة من ذلك الكتاب ، لي .

وبعد غيبة ، جاء يحمل هذه النسخة - وذكر أنه ذهب إلى الرياض لزيارة اخته زوجة الأمير عبد العزيز بن سعود - وسعى حتى حصل هذه النسخة ، ولكن الأمير أرسل رجلاً في أثره عند ما علم بأنه نسخ الكتاب ، ويقول الأب : فوضعت النسخة في صندوق حديدي ، وأخفيته في سرداب من سراديب الدّير حتى أذن الله باخراجها .

مع أن ذلك الجزء من نسخة كتبها الشيخ فوزان السابق - رحمه الله - قبل ذلك العهد ، بزمن ، والجزء الآخر منه لدى الأستاذ خير الدين الزركلي .

ومثال آخر :

في مكتبة الكرملي نسخة من كتاب بلاد العرب ، للغدة الاصفهاني ، بخط الاستاذ سليمان ، وقد كتب في طرتها بأنه نسخها من نسخة في مكتبة داود باشا في المدينة .

ولكن من مطابقتها على نسخة السيد محمود شكري الألوسي ، يظهر أنها منسوخة منها ، ولو علم الكرملي بوجود نسخة لدى السيد الألوسي هي أصل لهذه النسخة لما اشتراها .

وقد آل كثير من كتبه التي بخط يده إلى مكتبة الأب أنستاس الكرملي ، الذي اهديت كتبه بعد وفاته إلى مكتبة (مديرية الآثار) العراقية .

القول السديـد :

توجد النسخة الوحيدة لهـذا الكتاب ، في مكتبة دار الآثار ، وهي من كتب الأب انستاس الكرملي ، اشتراها من المؤلف ، لأنه في آخر حياته ، أصيب بفاقة شديدة ، وبعد أن ابتلي بالشراب واصبح مدمناً ، صار يبيع كل ما تحت يده ، ومن ذلك كتبه ، ومن بينها هذا الكتاب .

ويقع في ١١٢ صفحة ، مقاس الصفحة ٢٠٫٥ × ١٤ س م في الصفحة ١٨ سطراً ، وملحق بالكتاب ست صفحات بخط الاب الكرملي ، عن سقوط الامارة الرشيدية ، إذ الكتاب يقف قبل سقوطها .

وفيه مُخَطَّط لمدينة حائل ، من وضع المؤلف ، ومشجر للأسرة الرشيدية ، ملحقة بقبيلة شمّر .

ويمكن تقسيم الكتاب إلى قسمين : القسم الأول يتعلق بتاريخ نشوء الامارة قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري عندما نشأت امارة آل فضل ، وعنها تفرعت إمارة آل علي ، التي خلفتها إمارة آل رشيد .

وهذا القسم معلومات المؤلف فيه على درجة من التفاهة والضعف ، بحيث لا يصح التعويل عليها .

وهذا ما دفعنا إلى الاكتفاء من الكتاب بالقسم الثاني : المتضمن لذكر إمارة آل رشيد .

ويحسن أن نورد بياناً لمحتويات هذا الكتاب – كما جاء في النسخة الكرملية رقم ٤٨٨ أوله – بعد البسملة والحمدلة: (أما بعد فهذا كتاب ذكرت خبر ما عرفته عن إمارة الرشيد، الواقعة في جبلي طي، مما شاهدته واختبرته في أيامي هذه، وقد ذكرت فيه شيئاً زهيداً مما اطلعت عليه في أمهات الكتب).

صفحة ١ : (كتاب القول السديد، في أخبار امارة الرشيد : يبحث في أخبار امارة جبلي طي الرشيدية تأليف الرحالة سليمان الدخيل النجدي في سنة ١٣٣٨ تشرين الأول سنة ١٩١٩).

١ – ٧ : الإمارات الموجودة في نجد.

٧ – ٦٠ : إمارة الرشيد : موقعها، حدودها، تسمية أجا وسلمى، سبب نزول طي أجأ – نسب طي وبطونها – الخلاف في نسب قحطان، الخلاف في قضاعة، الخلاف في خزاعة – أمر جبلي طي في الجاهلية – رئاسة بني مُهَنّا – إمارة بني مهنا – إمارة آل علي.

٦٠ – ٧٨ : عاصمة الامارة وحدودها (رسم تقريبي لمدينة حائل ص ٦٢) سياسة الامارة وقوّتها، الأخلاق والآداب، والعلوم والتجارة، دخل الامارة وارداتها – ماؤها وهواؤها وزراعتها. حيواناتها ونباتها – ذكر قبائل الامارة وعشائرها – القول في شمّر وأسباب التسمية – أقسام

شمّر وبطونها – ديار هذه العشائر ومساكنها – ذكر البلاد والأماكن العامرة بالسكن ، وما فيها من نخل – وبيان عدد نخيلهـا .

٧٨ – ١١٢ : القسم الذين يجده القارىء بعد هذا .

وفي آخره : (ليس في الوقت سعة أن أبحث وافتش على مما استوفيته في هذا الكتاب ، فقد يكون اني أهملت شيئاً لم يرد ذكره هنا، فأذكره في المرة الثانية ،عندما تبيّض هذه النسخة وتصحّح ، والذي ألفت إليه نظر القارى شيء واحد ، وهو أن ذكر العدد قد يكون فيه مبالغة في شيء ، وبعض قـــد يكون أكثر مما ذكر والسبب في ذلك أن ما ذكر هنا هو أنه نتيجة أبحاث وأسئلة ، دارت بيني وبين أفراد من أهل هذا الوطن ، ومن عادة أهل الوطن إذا سُئِل أحدهم عن شيء أن يتصور بأن وراء مثل هذا السؤال شيئاً محذوراً ، فإن كان المتصور يحاذر من أمر : مثل ذلك أن يطمع في بلاده ووطنه قال في الجواب وذكر عنه كل شيء رُبع ما فيه ، كأنه يبين أن بلاده حقيرة ، قليلة الرزق ، لا تستوجب ممّن يُوجّه اليها أنظـــار الطمع ، وان كان تصور من السائل أمراً آخر ، كحدوث حرب أو غير ذلك ، بالغ في الأمر ، فذكر أضعاف ما هو الحقيقة ، ليظهر جوابه ذلك عن الثروة والغنا ، وقلة الاحتياج ، والقوة والمنعة . أما أنا فلكوني أقف على هـذا الأمر ، وعندي أمور أخرى) .

ثم بعد هذا (ص ١١٣ – بخط الأب انستاس) :

سقوط امارة ابن الرشيد – ثم كلام للأب في الموضوع .

والمؤلف وان ظهر في كتابه كثير من الضعف إلا أنه بحكم صلته بتلك الإمارة ، يصح القول بأن ما كتبه من أقدم ما كتب عن تاريخ تلك الامارة في العصر الحاضر ، ومع كونه لا يخلو من تحيز ، إلا أن فيه فوائد تاريخية لا توجد في غيره .

وأمر آخر : هو أن ابن دخيل هو الكاتب الذي تصدى لافراد تاريخ هذه الامارة بمؤلف وهي لا تزال قائمة .

ونظراً لأن ما كتبه ابن دخيل يقف عند أثناء الحديث عن إمارة سعود بن عبد العزيز بن متعب ، فقد رأينا إضافة إلى ما كتبه الاستاذ فؤاد حمزة ، في كتابه (قلب جزيرة العرب) من حيث وقف ابن دخيل عند انتهاء تاريخ تلك الامارة ، اتماماً للفائدة .

وغرضنا من كل ما تقدم أن يكون لدى القارىء الملم بكثير من الحوادث التي ذكرها ضاري في رسالته المتقدمة ، مما قد يكون أجمله ، وحقه التفصيل .

ونكرر القول بأننا في حاجة إلى نشر كل ما يتعلق بتاريخ بلادنا ، لتتسنى دراسته دراسة كاملة ، ثم نَخْله ، واختيار الصالح الصحيح منه ، للاستفادة به ، والاعتماد عليه ، ومعرفة الزيف والباطل ، لاطراحه ، والبعد عنه ، ومن الله التوفيق .

قال ابن دخل :

إمارة آل علي

ثم رسخت في آل علي [1] - وهم من الفضول المتقـــدم ذكرهم ، وآل علي والرشيد الأمراء الموجودون اليوم يكونون أبناء العم ويلتقون في الاب الخامس فهم عبديون على ما تقدم ذكره .

إمـــارة ارشيد

ثم انتقلت الامرة إلى آل الرشيد . واعلم أن رشيد الذي لقبت به هذه الامارة هو ابن خليل وخليل وعلي جد المتقدم ذكرهم أخوين هما ابنا عطية وعطية بطن من الربع والربع بطن من آل جعفر وآل جعفر بطن من عبدة وعبدة تقدم ذكرهم ، فآل علي منهم آل علي المتقدم خبرهم ، والخليل منهم الرشيد هؤلاء . وأول من صارت اليه الامارة من الرشيد عبد الله .

عبد الله الرشيد

وهو عبد الله [2] بن رشيد بن خليل بن عطية ، سميت

---

(١) كان عيسى بن علي أميراً سنة ١٢٤٣ (عنوان المجد : ٢/٣٢) .
(٢) الصواب : عبد الله بن علي .

الامارة باسمه لأنه هـو الذي ساق بني عمه عليه وتولاها بعد قتال بينه وبين بني عمه ، وقد سافر إلى العراق واستقر بـه مدة، حضر فيها بعض الوقائع التي دارت بين رجال الحكومة العثمانية وبين أهالي العراق ومنها واقعة الحلة وكربلاء حينما غزا ابن سعود ديار العراق وكان ذا قوة وبأس عظيم في نفسه، وكان ذا شجاعة وجسارة فائقة ، فتقدم إلى بعض الحصون المحاصرة واختلع باب الحصن بقوته فدخلت الجنود وفاز في هذه الواقعةبغنائم ثمينة ،منهاغزالذهب،فأخذهاوبعد ذلك قدم حاضرة إمارة السعود وهي بلدة الرياض فأهدى إلى ابن سعود أشياء ثمينة من بينها غزال الذهب واستقام عنده مدة وهو في جملة وزارئه الذين يعتمد على آرائهم ، ومن بعد ذلك توسط له ابن سعود عند بني عمه على أن يتنازلوا له عن شيء فكان ذلك إمارة الحاج وكان وقتئذ يذهب حاج عظيم من العراق على طريق جبلي طيء ،فيمر بحائل فيستفيد منه العرب فائدة عظمى وكان دخل هذا الحاج له ثم بعد ذلك تولى الامارة بعد نزاع وقتال بينه وبين بني عمه فتم له الأمر سنة ١٢٥١ واستقام له الأمر إلى أن توفي سنة ١٢٦٣ فخلفه ابنه طـلال بن عبد الله الرشيد .

طلال الرشيد

تولى الامارة سنة ١٢٦٣ واستقام له الأمر وكان ذا قوة

وشجاعة عظيمة وفي آخر الأمر اصابه علة في الدماغ فطلب احد الاطباء الحاذقين في حجاج العجم فأخبره أنه لا يمكن معالجة هذا المرض وقال انه يزداد . فقتل نفسه خوفاً من أن يستولي عليه المرض فيشمت به أعداؤه وكان ذلك سنة ١٢٨٥ من الهجرة .

متعب بن رشيد

ثم بعد وفاة طلال تولى الامارة متعب ، وهو متعب بن عبد الله بن علي بن رشيد حكم سنة ١٢٦٥ وفي سنة حكمه حدث بينه وبين أبناء أخيه طلال شيء فخافهم فقتلوه فتولى الأمر من بعده بندر .

بندر الرشيد

وهو بندر بن طلال بن عبد الله بن علي بن رشيد ، حكم سنة ١٢٨٥ وكان له من الأخوة بدر وسلطان ومسلط ونهار ونايف وعبدالله ، فقتل هو وأخوته جميعاً قتلهم محمد بن رشيد سنة ١٢٨٩ وحكم بعد ذلك محمد بن رشيد .

محمد الرشيد

وهو محمد بن عبد الله الرشيد حكم سنة ١٢٨٩ ، وأسباب

ذلك أنه بينه وبين عمه بندر حقد ، وكان كل واحد يضمر لصاحبه ، فبينا محمد بن رشيد قـادم بالحاج إلى حائل مقبل عليها ، نحو ساعة استقبله بندر بثلاثة من الخيل فعرف محمد ما في نفسه فامتطى جواده وصار يباريه يمشيان سوية ، ويحادثه عن طريقه وسفره ، ويقص عليه مـــا جرى له حتى امنه ثم استل مديته وعلم برأسه وأدلى به ونزلا سوية من على خيلهما فأكمل قتله ، وسبقه إلى البلد واعتصم بها ثم نادى مناديه في الأمرة له ، واعتصم ابناء أخيه في قصر حصين ، وبعد قتال استدام بعض يوم استولى عليهم وقتلهم جميعاً وتم له الأمر ، وكان ذلك في سنة ١٢٨٩ . ثم ان هذا الأمير كان حاذقاً ُمسيساً ، ومدبراً وذا رأي ودهاء فاستولى على بقية نجد ثم في أثناء ذلك حدث بين السعود امراء الرياض انشقاق جرهم إلى حروب تدمروا فيها جميعاً فانتهز الفرصة في آخر أمرهم واستولى على ملكهم ، ثم حدثت حرب بينهم وبين امراء القصيم انتصر فيها واستولى على القصيم وأجلى امراءها وأسر بعضهم وقتل بعضاً . ثم مهد حكمه في جزيرة العرب إلى مـا جاور اليمن وما قارب الديار الشامية ، وكان مشهوراً بالدهاء وتوفي سنة ١٣١٥ [١] اثر مرض أصابه أعيا نطاسة الحكماء . وتولى الامر من بعده ابن عمه وهو عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد .

---

(١) في الأصل (٣١٣) - وهو غلط .

عبد العزيز الرشيد

هو عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد . هــــذا الأمير جاء بما لم يسبق اليه من ضروب الشجاعة والدهاء حتى اشتهر اسمه بذلك ، وسارت بخبره الركبان وشاع خبره في البلدان، وكان على جانب من الحنكة والمعرفة، شجاعاً مدرباً داهية دهماء، لكنه مع ذلك قاصر الحظ ومع قصور حظه فقد ذلل صعاب الأمور وألان الخطوب العظام تولى الامرة بعد عمه محمد بن رشيد سنة ١٣١٥ بوصية منه له ، وكان شديداً في عمله صعباً في أمره فثارت عليه نجد وقبائلها لأسباب أهمها أن مبارك الصباح حاكم الكويت قتل أخويه محمد وجرّاح وتولى امارة الكويت فأساء في ذلك إلى الذين لهم معه مودة وعهد، فكتب اليهم وفي جملتهم الأمير محمد بن رشيد، وحاكم قطر الشيخ قاسم بن ثاني في عمله ، فلم يستحسنوه فأما الشيخ قاسم فبينه وبين الشيخ مبارك أمور توجب اعلان الحرب فيما بينهما وكتب الشيخ قاسم إلى الأمير محمد في حياته يسأله هل هو ساعده الأيمن إذا كان ذلك ، فأجابه محمد إلى طلبه . وكانت سياسة محمد الرشيد أن ينتهز الفرصة في الاستيلاء على الكويت ليجعلها ميناء لشمر ، ويكون مبتعداً عن الحكومة العثمانية والامتيار من بلادها ، وكان موعدهما الربيع الآتي ليقوما بتجهيزات فيكون ابن الصباح واقعاً بين نار أميرين وأكد هــذه المعاهدة السرية الشيخ يوسف بن ابراهيم المثري

الشهير ، الذي يكون خال اولاد المقتولين الشيخ محمد وجراح آل الصباح ، وكان مركزه حينئذ قطر مقر امارة الشيخ قاسم بن ثاني حيث جهز من ذلك المكان عدة حملات بحرية يناويء بها الشيخ مبارك في الكويت فلم يفلح . وقبل أن يأتي الموعد المضروب توفى الشيخ محمد بن رشيد وتولى عبد العزيز بن متعب الرشيد في مكانه فسار على طريقة عمه منفذاً لسياسته ووصيته التي أوصى بها . ومنذ ذلك الحين ظهرت العداوة بين مبارك الصباح وبين عبد العزيز الرشيد . أما الشيخ مبارك الصباح فكان داهية دهياء ؛ ولم يبق من المشايخ سوى الشيخ خزعل خان امير المحمّرة فانه في ذلك العهد صديقه المخلص الذي يمده بما يحتاج من المال .

وكان من المجاورين للشيخ مبارك في بلاده أمراء نجد وهم أمراء عنيزة ، وأمراء بريدة ، وعبد الرحمن الفيصل السعود وأولاده الأمير عبد العزيز السعود واخوانه محمد وسعد وسعود فحسن لهم ابن صباح القيام بثورة لاستحصال ممالكهم، واتفقوا على ذلك وقاموا بحملة للغزو وكان يمدّهم بكل ما يحتاجون اليه من قوة ومال وذخيرة ورجال . فتغيرت أفكار أهل نجد لما رأوا امراءهم السابقين قائمون للمطالبة في ملكهم واصبحت الافكار ضد عبد العزيز بن رشيد . والخلاصة اجتمعت امراء نجد ومن تبعهم وامراء المنتفق ومن تبعهم ، والشيخ مبارك بن صباح ومن تبعه من القبائل والعربان وساروا جميعاً حملة واحدة ، عددها أكثر من ثلاثين الف مقاتل وتوجهوا

لاحتلال نجد ، ومناجزة الأمير عبد العزيز بن رشيد ان أتاهم هناك ، واحتلوا الطـّرْفية احدى قرى القصيم وجعلوها محل عسكرهم العام وكلما مال اليهم أهل بلد استنفروا أهله للقتال معهم، وقد سقط بايديهم في ذلك الاثناء أكثر بلاد نجد والرياض كالقصيم وعنـــيزة وبريدة وملحقاتها وبلدة الرياض وأكثر ملحقاتها واجتمع لديهم في معسكرهم في بلدة الطرفية خلق كثير وجند كثير العدة والعدد . اما عبد العزيز ابن رشيد فكانت جواسيسه تأتيه كل يوم بجميـع الأخبار وكان يخابر الدولة في ذلك والدولة تجهز له حملة كبيرة من جندها لنصرته فلما رأى أن الأمر يبطىء عليه إذا أراد أن ينتظر ما تجهزه له الدولة جمع نفسه وسار إلى مناجزتهم قبل أن يتسع عليه الخرق ويكبر عليه الأمر ، وكانت جنده نحو اثنا عشر الف على الأكثر اكثرهـا فرسان فبنى قاعدة مناجزته لهم على ثلاثة أمور :

١ – أن يفاجئهم على غرة وتكون مفاجأته لهم آخر نهار حتى إذا غلبهم يبددهم ويتفرق رأيهم في قبالة الليل ، وإذا هم غلبوه يمكنه أن يهرب بجنده تحت ظلام الليل .

٢ – انه قسم فرسانه إلى قسمين قسم أمره بالهجوم من مؤخرة العدو والقسم الثاني قسم إلى قسمين قسم يشغل فرسان العدو بالمبارزة والقسم الثاني يحمل جنداً إلى مشاغـلة ميمنة العدو وميسرته .

٣ – انه جمع نحو الف من صعاب الابل وعلمها على الهجوم

على العدو ، وذلك بأنه يصف جنده ثم يأمر الفرسان بأن تأخذ الابل وتأتي بها من مكان بعيد تحددها على الجند المصفوف فاذا اقتربت من الجند مقبلة عليهم رموها بدون رصاص ، وهكذا حتى تعلمت بأن تطأ الابل الجند بدون أن تفزع أو تهرب من البارود وصوته ، فلما تم له تلك التعاليم كلها في مدة نحو شهر حمل على ابن صباح ومن معه من الجنود سائراً على القاعدة التي اتخذها رسماً في حربه ، ففي غرة أتاهم بعيد الظهر في شدة القيلولة وهاجمهم ونفذ ما أراده من قاعدته الحربية فتم له النصر وانخذل عدوه ، واكتسب بذلك شهـرة عظيمة ورجع ابن الصباح خائباً واسترجع جميع ما استردوه من البلاد لكنه اساء في عقاب أهل البلاد وشملهم بالعقوبة الصارمة وشدة الضرائب التي لا يطيقونها فاضمروا له سوء المنقلب ، وكانت هذه الواقعة في محرم سنة ١٣١٨ وبعدها بسنة أو بمض سنة قام مبارك الصباح يجهز الأمراء ويؤلف عليهم القبائل فسقطت الرياض بيد ابن سعود سنة ، ثم صارت الحرب بينه وبين ابن سعود سجالاً وعندما أراد أن يسترجع نجداً جميعها ويتم له الأمر فيها حدث بينه وبين ...[١] واقعة حربية كان النصر فيها لابن رشيد لكن فيا هو قادم يتلو العدو اتيح له طلقة نارية قضت عليه ومات منها وذلك في سنة ١٣٢٤ وتولى من بعده ابنه متعب بن عبد العزيز الرشيد .

---

(١) بياض في الأصل : ويقصد (ابن سعود ، في جراب) .

متعب الرشيد

هو متعب بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد تولى الامارة سنة ١٣٢٤ بعد أبيه باتفاق شمر وأهل حايل والجند الذي معه، وكان هذا الأمير عاقلا حازماً مدبراً مُسيساً وجمع إلى ذلك الكرم الحاتمي والحلم المعني، ومما أتاه من ضروب السياسة أنه عقد مع أمير الرياض عبد العزيز السعود صلحاً عادلا لم يغير فيه واحد منهما وأقبلت عليه القبائل ورغبته الحضر والبدو، وجاءته الوفود من كل مكان ولكن لسوء الحظ لم يتم له الأمر بل عاجل القدر وقتل، قتله أخواله (العُبَيد) وهم ثلاثة سلطان وسعود وفيصل أبناء حمود بن عبيد بن علي ابن رشيد، وذلك لحاسد دخل قلوبهم، ولحقد كانوا يضمرونه لأبيه قبل موته، وذلك أن عبد العزيز الرشيد في حال حياته لم ير منهم ما يوجد في الامراء من همة وحزم وعزم أو رأي وسياسة فلم يجعلهم في بعض أمور دولية، فظهر منهم ما جعل في نفسه عليهم، فلم يرد قتلهم بل منهم من هرب الجوف ومنهم من استقر في عاصمة الامارة، ولم يتعاط من أمور الدولة والملك شيئاً، فلما مات عبد العزيز ظنوا أنهم خلا لهم الجو فلما رأوا من أمر متعب ابنه ما رأوا من الاقبال والامان وحسن السياسة، هموا به قبل أن يأتي يوم لا يستطيعون أن يعملوا فيه شيئاً وكان من سياسة متعب أن آواهم وقربهم

لكونهم أخواله، ولكونه يريد انيزيل مما كان في قلوبهم ، فما كان منهم أن غدروا به ليلاً [1] وقتلوه هو وأخوته من اختهم وهم متعب ومشعل ومحمد ولم يبق من أولاد عبد العزيز بن رشيد الا ولد رابع اسمه سعود وهذا الولد لكون اخواله السبهان الوزراء في الدولة حاموا على ابن اختهم وصانوه ، وفي ليلة هربوا به إلى المدينة المنورة وادخلوه على الحكومة العثمانية فأكرمت نزله ، وسيأتي ما كان من أمره وبعد أن قتلوا أولاد عبد العزيز الرشيد تولوا الأمر من بعدهم فكانت الامارة أولاً لأكبرهم وهو سلطان بن حمود .

سلطان بن الرشيد

هو سلطان بن حمود بن عُبيد بن علي الرشيد تولى الأمر سنة ١٣٢٤ بعد أن قتل متعب وأخوته ، وكان هذا الأمير جباناً خوافاً غير موفق في غزواته ، ومن حيث أن العرب تستعقد بالامراء وتناظر إلى حظوظهم ، وهذا الأمير ليس له شيء من البخت فقد كرهته وأدبرت عنه فكرهه أهل البلد لما أتاه من قتل أولاد عبد العزيز الذين هم أحق منه بالامارة وذو اصالة فيها ومع هذا وذاك كان طماعاً في مصالح المملكة

---

(١) يقول الشيخ عبد الله الخليفي – رحمه الله – بل ضحوة النهار ، في ١٣ القعدة سنة ١٣٢٤ في مكان يدعى الأحيمر .

ومما أتاه انه أخذ كل ثمين في خزانة الامارة ، وحمله على الابل يريد أن يهرب به ، ويترك الامارة ويستقر في مصر [١] حيث يعتقد أن الذي أخذه يستطيع أن يعيش به في حياته ، فلما بعد عن البلد مرحلة شعر أخاه سعود بما أتاه الأمير سلطان فلحقه بجملة من رجال البلد والحاشية ، فادركوه ليلا فهرب بنفسه ، واختبأ في إحدى مغارات اجأ ففتشوا عليه ووجدوه وجاؤا به مصفداً واستولي عليه وعلى ما معه ، وبعد أن رجع إلى البلد سجنه أخاه ثم في ليلة خنقه أخوه، ورماه في بالوعة في وسط القصر وتولى الأمر من بعده أخوه سعود هذا وكانت هذه الواقعة سنة ١٣٢٦ .

سعود العبيد الرشيد

هو سعود بن حمود بن عبيد الرشيد تولى الأمر سنة ١٣٢٦ بعد أن خنق أخيه سلطان بن حمود وكان هذا الأمير جاهلاً أحمق غير مدبر وليس عنده سياسة للعامة ولا للخاصة سار في الأمور كيفما يوحي اليه جهله ومع انه لم يسيء إلى أحد فقد كان أبناء هذا البيت غير مقبولين عند أهل حائل وعند شمر لسبب قدمناه وهو أنهم غير اصلاء في الامارة وعندما رأى أهل حائل سوء تدبير هؤلاء وعدم إقبال عشيرة شمر عليهم

---

(١) الصواب : جبل الدروز في الشام .

وانهم إذا داموا فيهم يكونوا في انحطاط يوشك منه عن قريب أن يتسلط عليهم عدوهم ابن سعود فيستولي على الامارة ومن هذا السبب وأسباب أخرى قاموا يكاتبون سعود بن عبدالعزيز الرشيد ويستجلبونه اليهم ويستقدمونه إلى عاصمة امارته وقد كانت المكاتبة مع وزيره حمود بن سبهان الذي هو خاله، فتوجه بقوة موجودة عنده ولما أقبل قاصداً الجبل قصد أولاً جيش الامارة وهي الابل والخيل فأخذها من مواقعها ، ثم تدرج ودخل البلد ليلاً وحينما أقبل اليها فتح الأهالي أبوابها ودخلها وتحصن سعود العبيد بالقصر المعروف (برزان) الذي هو في وسط البلد وبعد نحـو ست ساعات سلم من في القصر وسلم سعود العبيد نفسه، فأخذه الأمير وقتله بأن خنقه وجعل فوقه أخيه الذي قتله، وكان مدة استقامته نحواً من ستة أشهر .

سعود الرشيد

هذا الأمير هو سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبد الله ابن رشيد وقد تقدم لديك أن أبناء حمود العبيد قتلوا أولاد عبد العزيز الرشيد وهم متعب ومحمد ومشعل الذين يكونون أبناء أختهم وأن هذا الأمير لكونه لم يكن خواله العبيد بل ان خواله السبهان فقد حاموه وهربوا به إلى المدينة المنورة فلما حان الوقت وأراد الله أن يرجع ويستولي على الامارة من

جديد ، كاتبه أهل بلده في ذلك فقدم اليهم وكان من أحسن ما كان فيما تقدم آنفاً فلا حاجة إلى إعادتـه . تولى هذا الأمير في ١٦ شعبان سنة ١٣٢٦ .

وكانا ساعداه القويان خواله وهم حمـود السبهان وزامل السبهان ، وعندما تم له الأمر غزا بعض غزوات انتصر فيها فوفدت عليه العربان وأقبلت اليه الناس وكان في ذلك الوقت ابن الرابعة عشر سنة غير مدبر في نفسه وانما التدابير الـتي يبديها كانت ناشئة عن اراء اخواله وبعد سنة من هذا اصيب محمود السبهان بمرض الدق فمات [١] فخلفه في الوزارة اخاه زامل ثم بعد ذلك حدث شقاق وخلف بين زامل السبهان وبين سعود الصالح السبهان كان من ذلك ان قتل سعود زاملا [٢] ولما كان هذا جاهلا فقد اختلت سياسة الامارة وفسد عليها كثير من امرها وكان اسباب هذه الحادثة (....) [٣] لأنه

---

(١) في محرم سنة ١٣٢٧ هـ ، ويقول فؤاد حمزة (قلب جزيرة العرب ٣٤٧) مات حمود مسموماً بيد مجهولة .

(٢) سنة ١٣٣١ هـ وفي قلب الجزيرة سنة ١٣٣٢ (١٩١٤ م)

(٣) : حذفنا الاسم ، لان المؤلف تحامل على صاحبه ، تحاملا ناشئاً عن هوى خاص ، ذلك أن بين الرجل الذي ذكره هنا وبين آل دخيل منافسة في ذلك العهد ، اذ عم المؤلف كان وكيلا لآل رشيد في العراق ، وكان ينافس الرجل في مركزه في الامارة .

ونكرر القول بان المؤلف ، فيما عدا الحوادث التاريخية التي يتفق فيها مع غيره ، ينبغي عدم الثقة في كلامه ، وخاصة مـــا كان مجالا لابراز الهوى ، والمبالغـــة .

←

لما رأى أنه لا قدرة له على نفوذ في هذه الامارة ما دام زاملا موجود وسوس لسعود الصالح بقتله ليجد له نفوذاً اذا كان في الوزارة رجلا جاهلا فلما قتله تم له هذا النفوذ الا أنه لم يدم له ذلك لأن سعود انما قتل زامل لينفرد بالنفوذ فحدث بينهما شيء اوجب الى ابتعاد (....) [٣] عن دار الامارة اياماً ثم ان الوزير سعود الصالح لما كان جاهلا نفره الاهالي ثم القي عليه في نفس الامير فالتجأ الى دولة بريطانيـــا بالبصرة أيام الحرب العامة وما لبث ان دس له فقتل .

أما ابن (...) فـكان احد الخول ومن جملة الخدمة ومن غير الاصلاء ، وبيوت الشرف والمجد لكن لما كانت الحكومة العثمانية ميالة إلى منافع الأمير في أيام الحرب العامة كان هو الوكيل للامـارة في الشام فأوهم الامارة ان كل ما جاء للامارة من

← وقد قال لي الشيخ عبدالعزيز بن زيد – رحمه الله – وكان ذا علم بالمؤلف وذا صلة بهذا الرجل الذي تحدث عنه – ان كلام ابن دخيل غير صحيح ، وانه لا يوثق بكلامه .

وحدثني الشيخ عبدالعزيز ابن صفير – وكان ذا معرفة قوية بالمؤلف – ان عمه الشيخ جار الله الدرخيل كان يقول : كذب صالح ، أحسن من صدق أخيـه عبد الله . ذالك أن صالحاً – المؤلف – كان يظهر كذبه بطريقة تجعل له موقعاً في نفس سامعه . بينما أخوه سليمان كان لا يكاد يفصح كلامه مع صدقه.

نقول هذا لئلا يؤثر كلامه هذا ، أو يحمل محمل الحقيقة .

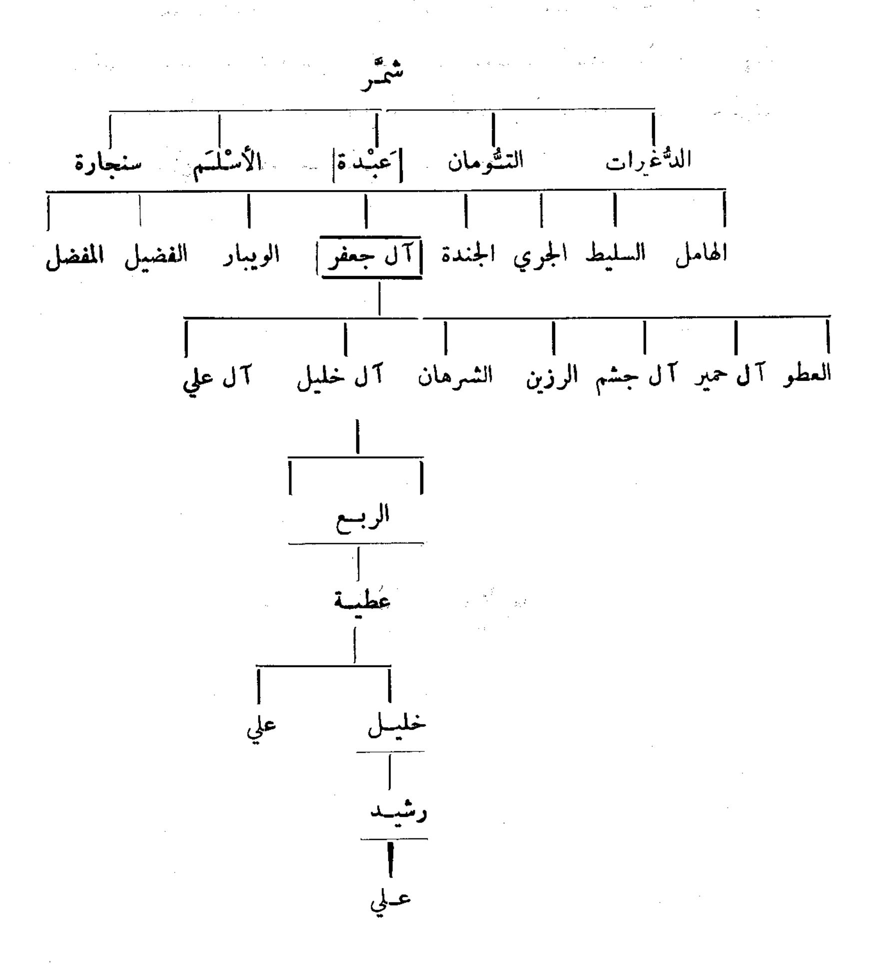
ولولا أن الأمانة في النقل توجب عدم التصرف في القول - أياً كان - لكان حذفه أولى .

والله يتولى الجميع برحمته، فقد قدموا على ما قدموا (ولا يظلم ربك أحداً)

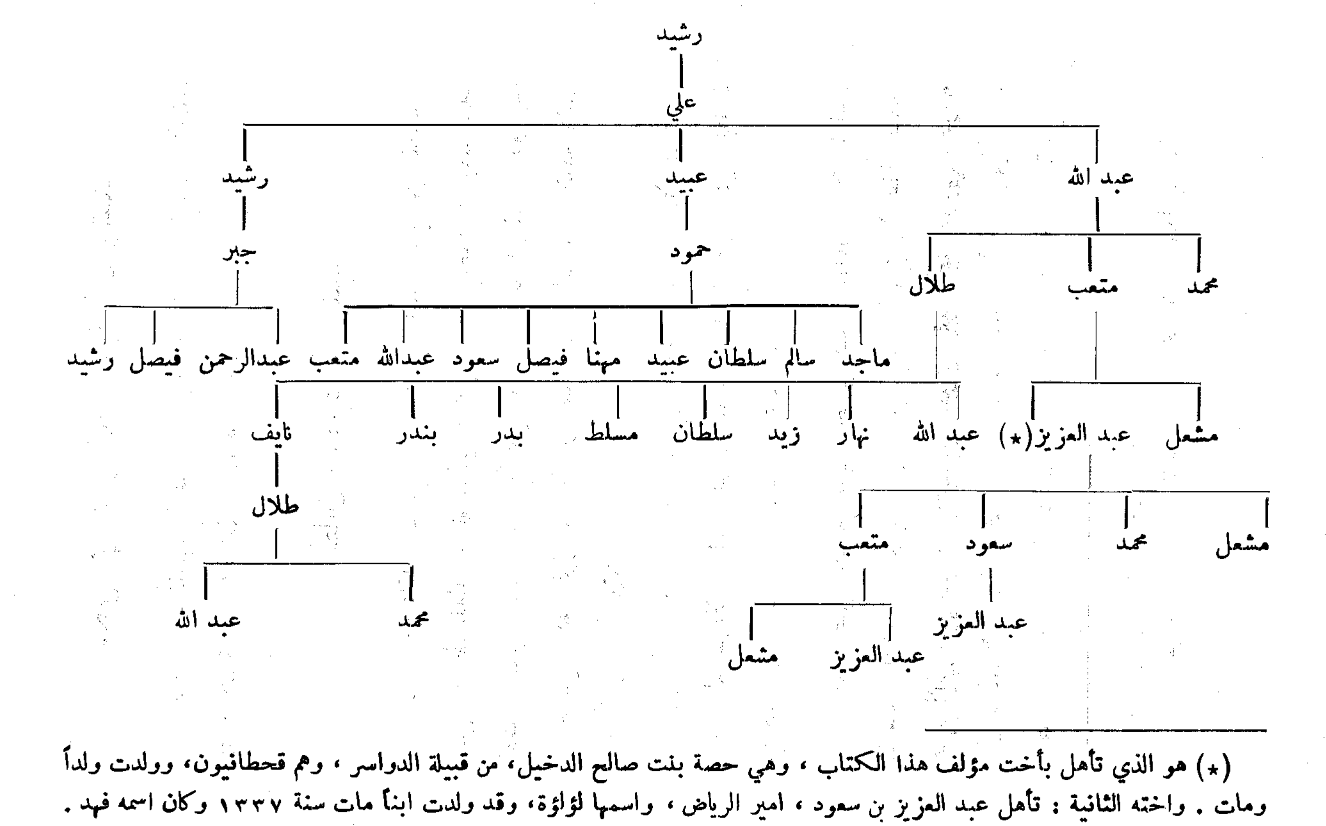
المنافع إنما كن بسبب مساعيه ؛ فلما سقطت الشام تبين أن ابن (..) غاش للامارة في كل أفعاله فسكن في الاستانة إلى يومنا هذا .

وبقيت الامارة بيد هذا الأمير ، وهذا الامير قد أوتي شيء جليل من البخت والحظ ومن حيث أن البخت لا يدوم فإن هذه الامارة اليوم على نوع من التأخر ولا ندري ماذا يكون فلربما تأتي لها الصدف بشيء ليس بالحسبان .





(بقية الشجرة في الصفحة الأخرى)



(*) هو الذي تأهل بأخت مؤلف هذا الكتاب ، وهي حصة بنت صالح الدخيل، من قبيلة الدواسر ، وهم قحطانيون، وولدت ولداً ومات . واخته الثانية : تأهل عبد العزيز بن سعود ، امير الرياض ، واسمها لؤلؤة، وقد ولدت ابناً مات سنة ١٣٣٧ وكان اسمه فهد .

ملحق في ذكر نهاية امارة آل رشيد

جاء في كتاب (قلب جزيرة العرب) تأليف الاستاذ فؤاد حمزة ـ رحمه الله ـ ما هذا نصه [١] :

سلطان وسعود بن رشيد

ان تاريخ عائلة الرشيد بعد قتل عبد العزيز بن متعب ، حتى سقوط تلك العائلة نهائياً ، على يد ابن سعود ، بعد ذلك بخمس عشرة سنة ، عبارة عن مأساة دموية ، مثلت ادوارها في حائل ، فقد تولى في الامارة هذه المدة القصيرة بضعة عشر اميراً أو نائباً للأمير .

تولى الامارة بعد عبد العزيز ولده متعب ، إلا ان امره لم يدم له طويلاً ، فقتل هو واخوه مشعل ، على ايدي سلطان وفيصل وسعود ابناء حمود آل عبيد .

وبعد مضي بضعة أشهر اخرى قتل سلطان محمداً أخا متعب الثالث ، ولم يبق من نسل عبد العزيز إلا طفل صغير عمره ثماني سنوات ، اسمه سعود فقد نجا بسعي اخواله آل السبهان ، وفرارهم به الى المدينة المنورة[٢] . وفي زمان سلطان بن حمود هذا فقدت امارة حائل مقاطعة (القصيم)

---

(١) من ص ٣٤٦ الى ص ٣٤٩ .

(٢) انظر عنه ما جاء في كتاب (مرآة الحرمين) ملحقاً بهذا .

نهائياً ، كما انها اضاعت مقاطعة خيبر .

ولم يدم سلطان في الحكم طويلاً ، فقتله اخواه سعود وفيصل .

اما سعود فقد عين أخاه فيصلاً أميراً على الجَوْف ، لكي يتخلص من شره ، وبالرغم عن هذه الجرائم العائلية ، فإن آل حمود لم يتمتعوا بالحكم طويلا ، فانتهز المخلصون لأولاد عبد العزيز بن مُتعِب فرصةعدم الاستقرار في حائل، وجلبوا سعوداً الصغير من المدينة ، ونصبوه اميراً عليهم ، وحصلت بعد ذلك مجزرة دموية ، قتل في خلالها اكثر افراد عائلة آل عُبيد ، وفر فيصل بن حمود من الجوف ، والتجأ الى ابن سعود في الرياض ، ومات قُبيل احتلال حائل ، وازالة حكم الرشيد عنها بقليل .

وكالة آل السبهان بالنيابة عن نسيبهم سعود بن عبد العزيز المتعب

بما أن سعوداً كان قاصراً فقد ناب عنه في ادارة الاحكام خاله حمود السّبهان ولكن هذا مات مسموماً بيد مجهولة ، فتولى الوكالة بعده زاملٌ السبهانُ ، وفي زمان هذا خرجت الجوفُ ووادي السّرحان من حكم الرشيد .

وادرك زامل انه من الصعب عليه مقاومة هذا العدد الكبير من الاعداء ، فقد كان محاطاً بهم من كل جانب ، في

الجنوب ابن السعود ، وفي الشرق ابن صباح ومن والاه من القبائل ، وفي الشمال الرولة ، وابن شعلان ، فلم يجد طريقاً أسلم من ان يصطلح مع ابن سعود ، فعقد معه اتفاقاً اعترف له فيه بالسلطة العليا . ثم انه اتفق مع الترك فنصروه وأمدوه بما يلزم من اسلحة وذخيرة ومال ، ولكنه قُتل في ربيع عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) بيد احد اقاربه سعود بن سبهان .

بعد وفاة حمود السبهان ، وقتل زامل السبهان ، لم يكن للامير سعود بن رشيد وكيلٌ رسمي في الإمارة ، إلا انه كان يستعين ببعض الاعوان ، اهمهم شأناً عقاب بن عِجْل ، وسعود ابن سبهان ، وقد سنحت الفرص لسعود السبهان باللعب من عدد وجوه ، فقد فاوض الفرنساويين ، وعمل جهده للاتفاق مع الانكليز ، بواسطة المقيم السياسي في الكويت ، ولكنه لم ينجح .

وقد قوي نفوذ سعود السبهان في حائل ، قبل فراره ، الى درجة جعلته يفكر في قتل سعود الامير ، ويستولي على الإمارة مكانه . ولكنه كان يعمل عملاً لا يستطيع ان يحققه ، فاكتشفت مؤامراته ، وفر الى قرب الزبير حيث دهمته منيته فيها عام ١٣٣٩ هـ — ١٩١٩ م .

عقاب بن عجل

عهد الأمير سعود بعد ذلك بادارة الحكم إلى عقاب بن

عجل ، وكان هذا عاقلاً حازماً، شرع في مفاوضة ابن سعود، والتفاهم معه ، كما أنه تفاهم مع الشريف حسين في مكة ، ولقي منه المساعدات الكثيرة طمعاً في أن يسوقه ضد ابن سعود ، غير أن كل ذلك لم يُجْدِ آل الرشيد شيئاً ، إذ أن السُّوس قد نَخِرَ في هيكل إمارتهم ، والحزازات الأهلية عملت عملها فيهم ، ففي عام ١٣٤٠ قتل الأمير سعود بن عبد العزيز ، بيد ابن عمه عبدالله بن طلال بن نائف، ولكن هذا لم يهنأ بالامارة ، لأنه قتل في نفس الساعة ، بأيدي عبيد الأمير القتيل .

عبد الله بن متعب بن عبد العزيز

وأجمعت الآراء بعد ذلك على نصب عبد الله بن متعب أميراً على حائل ، إلا أن هذا رأى ما في ادارة الإمارة من مصاعب ، وسط الدسائس والمؤامرات العائلية ، فقبض بعد توليه الإمارة على محمد بن طلال ، شقيق عبد الله الطلال ، قاتل الأمير سعود ، وألقاه في السجن ، إلا أن العلاقات مع ابن سعود كانت غير حسنة ، وكانت طلائع جيوش الأخير الأخير تهاجم جبل شمر ، وتغزو بلاده ومياهه ، كما أن ابن شعلان كان يهدد حائلَ من الشمال، فرأى عبد الله أن الطريقة المثلى هي مصالحة ابن سعود ، فاشترط عليه الملك عبد العزيز عدم مداخلة آل الرشيد في شؤون شمر ، وهذا معناه : عزل

آل الرشيد عن الامارة ، فـلم يمكنه قبول الشرط فوقعت الحرب بين الجانبين ، وكان من نتيجتها أن استسلم عبد الله المتعب إلى جيوش ابن سعود ، فاقتيد إلى الرياض ، ولا يزال إلى الآن متنقلاً بينها وبين مكة [١] .

محمد بن طلال ونهاية امارة عائلة الرشيد

بعد استسلام عبد الله المتعب نصب محمد الطلال [٢] مكانه فأدار دفة الحرب برهة ثم انسحب إلى حائل حيث حوصر هو وجماعته إلى أن سلمت حائل لابن سعود في ٢٩ صفر سنة ١٣٤١ [٣] (نوفمبر سنة ١٩٢١) ، وبذلك انتهى حكم آل الرشيد وضمت بلادهم إلى حكم ابن سعود بعد أن دامت إمارتهم ما يقرب من ٩١ سنة .

---

(١) توفي .
(٢) قتله أحد مواليه في سنة ١٣٧٣ هـ .
(٣) الصواب سنة ١٣٤٠ .

حول الامير سعود بن عبد العزيز الرشيد واخواله :

قال اللواء ابراهيم رفعة باشا في كتاب « مرآة الحرمين» :
رأينا هذا الأمير مع اخواله بالمدينة في محرم ١٣٢٦ هـ .
وكانت سنه إذ ذاك نحو عشر سنوات ، وأخواله هؤلاء هم الذين أنقذوه من القتل ، كما قتل أخ له من قبل ، ففرّوا به من نجد إلى المدينة ، ليحفظوا به بيت الملك ، وكانوا يسيرون به في الليل على ظهور الجياد والهجن ، ويستريحون النهار ، وقد قطعوا ما بين نجد والمدينة في تسعة أيام ، وقد رتبت لهم الدولة ما يتعيشون به إلى أن يرجعوا إلى بلادهم بعد استتباب الأمن فيها ، وقد رجعوا اليها وأقاموه أميراً عليها ولما يبلغ الحُلُم ، وكان اخواله يرشدونه إلى ما فيه السعادة والفلاح .
ولما كبر قتل أكبر اخواله الذين أنقذوه وولوه الامارة ، وأرشدوه إلى ما رفع شأنه ، ولله در من قال :

« اتق شر من أحسنت اليه »

ومن قال :

أعلّمه الرماية كلّ يوم ولما اشتدّ ساعدُه رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

وأخوال الأمير هم :

(١) ناصر السبهان

(٢) حمود بن سبهان ابن أخي ناصر
(٣) ابراهيم بن ناصر السبهان
(٤) زامل بن سالم السبهان
(٥) عبد الكريم بن سالم السبهان ، أخو زامل
(٦) سعود بن صالح السبهان ، ابن اخي حمود .

وقد رسمت الأمير مع اخواله وهم على سطح المنزل الذي يسكنون فيه بالمناخة (انظر الرسمين ٣٢٣ و ٢٩٠) تجد رجالاً عظاماً ، تلوح عليهم سمات الملك والعزّة قد تحلوا بالوسامات المجيدية والعثمانية ، من الدرجة الثانية ، وحملوا السيوف العربية المذهبة ، وارتدوا الملابس الفاخرة . وترى شعورهم مضفرة ، قد ضربت إلى أفخاذهم .

ويكاد يرى الانسان في صورهم الشهامة العربية ممثلة [١]

(١) مرآة الحرمين : (٢ / ٢٠٨) .



صورة سعود بن عبد العزيز الرشيد ، مع أخواله (نقلاً عن « مرآة الحرمين »)



صورة أخرى لسعود بن عبد العزيز بن رشيد (نقلاً عن « مرآة الحرمين »)



صورة الأمير عبد العزيز بن متعب بن رشيد
(قتل سنة ١٣٢٤ – عن كتاب « تاريخ آل سعود »
تأليف الأمير سعود بن هذلول ص ٧٧)

الفهرس

تصحيحات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	٤	يا ذل الخصا	يا قلب الخطا
٦٠	٤	ابتداء افراد	ابتداء أمر
٩٢	٦	من العلوم	من المعلوم
١٣٢	العنوان	القول السديد	مقتطف من «القول السديد»
١٤٧	١	قال ابن دخل	قال ابن دخيل
١٥٤	الحاشية	ابن سعود في جراب	ابن سعود « في روضة مُهَنّا » قبل وقعة جراب بـ١١ سنة (حاشية من هامش الأصل) حديثة الخط
١٦٠	١٦	ابن صفير	ابن صُقَيْر
١٦٠	١٧	الدرخيل	الدّخيل